شخصية المسلم

شخصية المسلم

كما ينبغي أن تكون

أحمد فتح اللّه الشيخ

اسم الكتاب: شخصية المسلم
اسم الكاتب: أحمد فتح الله الشيخ
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: أحمد فتح الله الشيخ – فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – يناير ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 8098
الترقيم الدولي: 9 - 10 – 6797 – 977 – 978

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو إلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

إهــداء

أَشْرُفُ بإهداء هذا الكتاب إلى:

*إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

*إلى روح الأستاذ عبد الله هاشم رحمه الله

الذي قال لي ذات يوم ستصبح ذا شأن عظيم.

*إلى روح والدي عليه رحمة الله (فتح الله الشيخ)

*وإلى أمي أمد الله لنا بعمرها وأسأل الله أن يمتعها بالصحة والعافية

كلمة شكر وتقدير

أحمد الله أولاً وأشكره وأثني عليه أن وفقني لطلب العلم الشرعي أشرف العلوم وعلي فضله وكرمه عليّ بإتمام هذا الكتاب. ومن تمام شكر شكر الله عزوجل أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى:

الأستاذ الدكتور: **عبد الفتاح خضر**

عميد كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر الشريف

الذي قَبِلَ الإشراف والتقديم والمراجعة لهذا الكتاب ولم يألَ جهداً في نصحي وتوجيهي ولم يبخل عليّ بجهده ووقته رغم كثرة مشاغلة وكان راعياً لهذا الكتاب من أوله إلى أخره.

فضيلة الأستاذ الدكتور/ **محمد محمود الرامي** أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر لتقديمه لي التوجيهات العلمية القيمة وإمدادي بالمراجع التي ساعدتني في كتابة هذا الكتاب ليخرج بصورة حسنة مقبولة.

كل من أعانني وشجعني وأشار عليّ ونصحني.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من سيقدم توجيهات يستقيم بها ما أعوجّ من هذا الكتاب ليشتدّ عوده

هذا الكتاب إختصار

لكتاب شخصية المسلم

كما يصوغها الإسلام

في الكتاب والسنة

للدكتور محمد علي الهاشمي

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فإن الموعظة الحسنة التي جمعها الشاب الأزهري المحترم أحمد فتح الله الشيخ تعتبر صيحة في عالم الحاضر الذي ابتعد عن كثير من أبجديات هذا الدين وعاش الغربة والتغريب بالانسحاق في غيره ، هذا الغير الذي قدم له كل ما يتراجع به ويذبل ويتخلف .

إن هذا الجمع الجيد الذي قام به أبننا الأزهري النبيه يعتبر صيحة موقظة للذمم والضمائر أن هلموا إلى كتاب ربكم وإلى هدي الحبيب نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يدخل تحت باب : {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} [الغاشية: ٢١]{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: ٥٥]

كتب الله له الأجر ووفقه لما يحبه ويرضى ..إنه سبحانه ـ جواد كريم ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ.د/ **عبد الفتاح خضر**

عميد كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر الشريف

تقديم (٢) للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للهِّ رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وأفصحِ الناطقين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فقد قرأت هذا الكتاب الذي جاء عنوانه (شخصية المسلم كما ينبغي أن تكون) للأستاذ أحمد فتح الله الشيخ، فأغراني عنوانه وأغناني بنيانه؛ فقد ألفيت في طياته هدفا ساميا ينشد فيه مؤلفه تجسيد شخصية المسلم، وما ينبغي أن يفقهه من مقاصد الشريعة من الفرائض والعبادات والشعائر، ودعوته إلى أن تُترجم إلى سلوكيات ومعاملات في حياته إليومية، فلا شك أن التزام المسلم بإقامة العبادات الشعائرية التكليفية فيها من الجهد ما لا يمكن أن يجادل فيه مسلم عاقل، إلا أن العبادة الأصعب - حسب واقع حال المسلمين المشاهد - هو ترجمة أثر هذه العبادات إلى واقع سلوكي تظهر نتائجها وثمارها على أرض الواقع المعاش.

فقد استطاع المؤلف أن يجسد شخصية المسلم وما يكتنفها من علاقات مع ربه، ونفسه ، وأهله وجيرانه وأصدقائه فجاءت معانيه متصلة الأفكار سهلة الأسلوب، يفصح عنها بصورة محكمة مبينة، متينة الأسس، واضحة المعالم، موجزة العبارة، مع حسن توظيف النصوص من قـرآن وأحاديـث وآثار.

والله َأسأل أن ينفع به ويجعله في موازين حسناته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د/ محمود إبراهيم السلامي

أستاذ أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالقاهرة

تقديم (٣) للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، ووهب له العقل؛ ليعقل عن ربه ما شرعه وأبان، وأنزل القرآن تبصرة للعقول والأذهان، وأرسل رسوله بالهدى والبلاغ والتبيان، وقيض من عباده من نظم العلم بأفصح لسان، أحمده حمداً يملأ الميزان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كل يوم هو في شأن، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الناس بالدليل والبرهان، اللهم صل وسلم علي عبدك ورسولك محمد، وعلي اله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد،،،

فالكتاب "شخصية المسلم" للأستاذ أحمد فتح الله الشيخ إطلالة جديدة علي هذه الشخصية بروح العصر؛ تلك الشخصية التي تم تغيبها لتكون إمعة لا هوية لها في هذا المجتمع المتباين الثقافات، والتي سيطرت عليه فكرة العولمة بهدف سلخ المسلم عن ثقافته ودينه، فقد عرض الكتاب قضايا مهمة في حياة هذه الشخصية بداية من علاقة المسلم مع ربه، ومع نفسه، ومع والديه، ومع زوجته، ومع أولاده، ومع أقربائه وذوي رحمه،

ومع جيرانه، ومع إخوانه وأصدقائه. وقد أحسن المؤلف عرضـها في لغـة سهله ممتعة، جمع المؤلف فيه بين النصوص القرآنية، والأحاديث النبويـة، أقوال الصالحين وأثارهم، ونوع المؤلف فيه بين الأسلوب الو عظي والعقلي بصورة مختصرة مفيدة.

إن المسلم يـدرك مـن أول إطلالـة عـلي كتـاب الله في سـورة البقـرة شخصية المسلم، فقد بينت أصـناف النـاس ثلاثـة، المتقـين، والكـافرين، والمنافقين، وحدد القرآن أوصاف الكافرين والمنافقين حي يتجنب المسلم صـفاتهم وأفعـالهم {وَكَـذَلِكَ نُفَصِّـلُ الآيَـاتِ وَلِتَسْـتَبِينَ سَـبِيلُ الْمُجْـرِمِينَ}الأنعـام (٥٥) فالشخصـية تأخـذ الإسـلام بكليتـه بعقائـده وتصوراته، وشعائره وعباداته، ومشاعره وأفكـاره، وفضـائله وأخلاقـه، وتشريعاته وآدبة، لأن الإسلام مترابط متكامل الأجزاء لم يترك جانبا مـن جوانب الحياة إلا رسم له المنهاج السليم، والخطة الرشيدة قال تعإلى{ إليوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً} المائدة(٣) وقوله{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ الأنعام (٣٨) وقوله صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

إن أساس بناء الشخصية المسلمة هو القرآن. فقد كان صلى الله عليـه وسلم قرآنا يمشي علي الأرض، ومن هذا القرآن طبع رسول الله صـلى الله

عليه وسلم مئات الألوف من النسخ طبعت بنور الإيـمان عـلي صـحائف القلوب.

نحتاج في الشخصية المسلمة أن تكون قدوة حسنة في دينها وأخلاقها ومعاملاتها، وأن تكون متسلحة بسلاح العلم النافع المفيد الذي يكشف له طريق الحق والخير، وينير له مسالك الحياة فيمضي فيهـا عـلي هـدي، وأن تكون هذه الشخصية عاملة متقنة في عملها الأخروي والدنيوي، وأن تكون ثابتة الإيمان في العسر وإليسر، فحالها ما بين حامدة شاكرة أو حامدة صابرة، فهي قوية في إيمانها وفي شخصيتها، محبة للخير وداعية له.

ومما ميز هذا الكتاب حرص مؤلفه جزاه الله خيرا علي أن يورد مـا صح من الأخبار وتجنب الضعيف ونحن أمام كتاب جامع لطيـف قدمـه مؤلفه بأسلوب مبسط وسلس فجزاه الله خير الجزاء ونفع الله تعإلى بعلمه وإني أحثه أن يواصل نشاطه العلمـي ويقـدم للنـاس مـا هـو نـافع مـاتع للمسلمين وإني أوصي كل مسلم ومسلمة في قراءة هذا الكتاب المبارك إن شاء الله في البيوت والمساجد والجلسات الإيمانية والحمد لله رب العالمين.

كتبه الأستاذ الدكتور / **محمد محمود الرامي**

أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين

بجامعة الأزهر الشريف

تقديم (٤) للكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونشكره، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو علي كل شيء قدير؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله، فبلغ الرسالة وأدي الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة ومحى الظلمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلوات الله وسلامه عليه وعلي آله وصحبه، صلاة وسلاما دائمين إلي يوم الدين.

أما بعد:

فإنه ليسعدني أن أقدم للقراء رسالة لطيفة تحت عنوان " شخصية المسلم كما ينبغي أن تكون " إعداد وتأليف (أحمد فتح الله الشيخ) الذي حاول فيه توجيه نظر المسلمين إلي ما يقع منهم من تقصير أو تكاسل أو إساءة في حق إسلامهم، لذا اجتهد المؤلف في جمع ما تيسر له من نصوص من كتاب الله وسنة نبيه، ليلقي الضوء علي ما يجب أن يكون عليه المسلم، وقد تناول ذلك من خلال تسعة محاور عامة: المسلم مع ربه، المسلم مع

نفسه، المسلم مع والديه، المسلم مع زوجته، المسلم مع أولاده، المسلم مع أقربائه، المسلم مع جيرانه، المسلم مع إخوانه وأصدقاءه، المسلم مع مجتمعه. جاء تحت كل محور منها عناوين أخري فرعية تفسر المحور وتوضحه.

وبالاطلاع علي الكتاب يلاحظ أن المؤلف سار في كتابه هذا علي الخطة التي وضعها لنفسه سلفا، وتناول موضوعاته بلفظة عربية سليمة، وأسلوب رصين، ولم ينس توثيق بعض ما نقله. وجاء أسلوبه سلس بعيدا عن التعقيدات اللغوية.

أدعو له بالتوفيق متمنيا أن يجد فيه القارئ ما ينفعه ويفيده.

والله من وراء القصد، هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب. اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما.

أ.د/ البيومي إسماعيل الشربيني

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس قسم التاريخ

بكلية الآداب جامعة دمياط

شهادة بحق الكتاب

" شخصية المسلم كما ينبغي أن تكون " كتاب نافع ومحاولة طيبة علي طريق الدعوة والإصلاح فجزي الله الأخ / أحمد فتح الله الشيخ علي هذا العمل الرائع وأسأل الله أن ينفع به جميع أمة الإسلام.

وأود أن أهمس في أذن المرجفين وأقول لهم هؤلاء هم أبناء الأزهر الشريف؛ ذلك المعهد العلمي الذي تفخر به مصر.

حمى الله الأزهر قلعة من قلاع العلم، فما عرفنا العالم وما قدرنا إلا بالأزهر.

أتمني للأخ أحمد فتح الله الشيخ التوفيق والسداد.

خادم العلم:

أ.د/ عبد التواب سيد محمد

أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ، نَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

أما بعد، فقد جاء اهتمامي بموضوع تجلية شخصية الإنسان المسلم كما أراد له الإسلام أن يكون إثر ملاحظتي لما يقع فيه كثير من المسلمين من إفراط في جانب وتفريط في جانب آخر، أو اهتمام بأمور وتساهل بأمور أخرى؛ كأن تجد الواحد منهم يحرص على الصلاة في الصف الأول، ولكنه لا يأبه للرائحة الكريهة تنبعث من فمه، أو تفوح من أردانه، أو تجده طائعا لله مخبتا خاشعاً، ولكنه مقصر في صلة رحمه. وقد تجده منصرفا إلى العبادة والعلم، ولكنه مقصر في تربية أولاده، غافلا عما يقرؤون ومن يرافقون، أو تجده معنيا بأولاده، ولكنه عاق لوالديه، قاس في معاملتهما. وقد تجده حسن العشرة لزوجه وأولاده، ولكنه يسيء معاملة جاره، وقد تجده منصرفا إلى شؤونه الخاصة مهتما بما يعود عليه بالنفع، ولكنه مقصرا في علاقته

الاجتماعية واهتمامه بأمر المسلمين، أو تجده متدينا صالحا، ولكنه يتساهل بآداب الإسلام في السلام أو الطعام والشراب ومجالسة الناس ومحادثتهم.

لقد هالني ما رأيت، رأيت البون شاسعا، والمسافة بعيدة جدا بين ما أراده الإسلام للمسلمين، وما أرادوه هم لأنفسهم، إلا قليلا منهم، ممن صحت عقيدتهم، وحسن إسلامهم، وصفت قلوبهم، وسمت نفوسهم، ونشطت هممهم، فأقبلوا على دينهم بصدق.

وقد دفعني اهتمامي بتجلية شخصية المسلم كما أرادها الإسلام أن تكون إلى تتبع النصوص المتعلقة بالإنسان وتوجيهه وتكوينه، لأضع بين يدي المسلمين، وخصوصا العاملين منهم، دراسة وافية شاملة تجلي تلك الشخصية، وتبرز ما تميزت به من صفات وعادات وأخلاق، لتكون نبراسا لأولئك المقصرين في بعض الجوانب، ليسموا بأنفسهم إلى المرتقى السامق الوضيء الذي أراده دينهم الحق لهم.

إن من يتاح له الاطلاع على هدي الله ورسوله للإنسان في مظانهما من كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليدهش من غزارة النصوص واستيعابها وشمولها لكل صغيرة وكبيرة من قضايا الإنسان المتصلة بربه وبنفسه وبالناس من حوله، وكلها توجيه وتكوين وبناء

لشخصية الإنسان المسلم في كل جانب من جوانبها، وتأهيل لها للحياة الفردية والاجتماعية المُثلى.

ورحت أجمع تلك النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصنفها حسب أبوابها وموضوعاتها، حتى إذا تم لي هذا التصنيف اتضحت معالم البحث، وانتظمت في الأقسام التالية:

المسلم مع ربه.

المسلم مع نفسه.

المسلم مع والديه.

المسلم مع زوجته.

المسلم مع أولاده.

المسلم مع أقربائه وذوي رحمه.

المسلم مع جيرانه.

المسلم مع إخوانه وأصدقائه.

المسلم مع مجتمعه.

ولقد تبين لي من خلال مصاحبتي تلك النصوص، وتأملي ما تضمنته من هدي عال قويم أن رحمة الله بعبادة كانت كبيرة إذ انتشلهم مـن وهـدة الضلال، ورفعهم إلى علياء الهداية، فأرسل إليهم رسـله، وأنـزل علـيهم رسالاته وشرائعه، ليبقى البشر دوما على المحجة البيضـاء، لا يخبطـون في ظلماء، ولا يتيهون في عماية، ولا تغم عليهم مسالك السبيل القصد.

والذي يبدو واضحا في حياة البشر أنهم أدنى إلى الهبوط والتفلت منهم إلى الصعود والتماسك، إذ الهبوط دوما أسهل من الصعود، والتفلت أشهى من التماسك، ولا بد من وازع يزعهم كلما رانت على قلوبهم الغفلة، وحادت بهم الأقدام عن الصراط المستقيم.

إن الله لم ينزل هذا الدين من فوق سبع سموات ليكون نظريـات تستمتع العقول بمناقشتها، ولا ليكون كلاما مقدسا يتبرك الناس بتلاوته وهم لا يفقهون هديه ولا يدركون معانيه، وإنـما أنزلـه الله لـيحكم حيـاة الفرد، وينظم حياة الأسرة، ويقود حياة المجتمع، وليكون نورا يضيء طريق البشر، ويخرجهم من الظلمات إلى النور: "قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (المائدة:١٥-١٦)

أولا: المسلم مع ربه

مؤمن يقظ: إن أول ما يتطلبه الإسلام من المسلم أن يكون مؤمنا بالله حق الإيمان، وثيق الصلة به، دائم الذكر له والتوكل عليه، يستمد منه العون مع أخذه بالأسباب، ويحس في أعماقه أنه بحاجة دوما إلى قوة الله وعونه وتأييده، مهما بذل من جهد، ومهما اتخذ من أسباب.

والمسلم الحق الصادق يقظ القلب، ومن ثم فهو ذاكر دوما لله، يرى آثار قدرته غير المحدودة في كل ومضة من ومضات الحياة، وفي كل مشهد من مشاهد الكون، فيزداد إيمانا به، وذكرا له، وتوكلا عليه: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ..." (آل عمران:١٩٠-١٩١)

مطيع أمر ربه: فلا عجب أن يكون المسلم الصادق مطيعا لله في أمره كله، ومحك إيمان المسلم الانصياع والامتثال لأمر الله ورسوله في كل كبيرة وصغيرة: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[1]. "فَلاَ

(١) رواه النووى فى الأربعين.

وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً" (النساء: ٦٥). إنه الاستسلام المطلق والطاعة الكاملة لحكم الله ورسوله. ومن ثم ينتفي من حياة المسلم الصادق الانحراف عن هدي الله، والمجانبة لأمر رسوله، سواء أكان ذلك في شخص المسلم أم في أسرته وأطرافه، ممن له عليهم التوجيه والمسؤولية.

يشعر بمسؤوليته عن رعيته: ذلك أنه ما من تقصير أو تهاون أو تفريط في جنب الله ورسوله، يقع فيه أحد أفراد أسرة هذا المسلم إلا وهو مسؤول عنه: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته..." متفق عليه. وهذه المسؤولية التي يحسها المسلم الصادق من جراء تفريط أحد أفراد أسرته تخز جنبه، فيسارع في إزالة أسبابها مهما تكن النتائج، وما يطيق السكوت عليها إلا رجل في إيمانه ضعف، وفي دينه رقة، وفي رجولته خور.

راض بقضاء الله وقدره: والمسلم راض دوما بقضاء الله وقدره، يضع نصب عينه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "عجبا لأمر المسلم إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" رواه البخاري.

ذلك أن المسلم يعتقد في أعماقه أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وأن ما يصيبه في هذه الحياة ما كان ليخطئه، لأنه قدر مقدور،

لا قبل له بدفعه، وأن رضاه بقضاء الله وقدره يكسبه الثواب الجزيل من الله، ويكتبه عنده من المؤمنين الطائعين الفائزين. ومن ثم كان أمره كله خيرا، إن أصابته سراء لهج لسانه بالشكر الجزيل لربه الكريم المنعم المتفضل، وإن أصابته ضراء صبر امتثالا لأمره، ورضي بقضائه وقدره، وفي كلا الحالتين خير له، أي خير.

أواب: وقد تغشى نفس المؤمن إثارة من غفلة، فتزل به القدم، أو يقع في تقصير، لكنه سرعان ما يتذكر ويتنبه وينتفض من غفلته، ويستغفر من تقصيره، ويؤوب إلى ربه مخبتا نادما مستغفرا: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ" (الأعراف:٢٠١). فقلب المسلم الصادق متفتح دوما إلى الاستغفار والتوبة والإنابة، مستروح أبدا نسمات الطاعة والهداية والتقي والرضوان.

همه مرضاة ربه: والمسلم يبتغى في أعماله كلها وجه الله، همه مرضاة ربه في كل عمل من أعماله، لا مرضاة الناس، بل قد يضطر أحيانا إلى إغضاب الناس في سبيل مرضاة الله، مستهديا في ذلك كله بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس[1]"

(١) رواه الترمذي والقضاعي وابن عسكر، وسنده حسن.

ومن ثم فهو يرى أعماله بميزان مرضاة الله (عزّ وجلّ)، وبـذلك تسـتقيم مقاييس المسلم، وتتضح أمام عينيه معالم الطريق فـلا يقـع في متناقضـات سخيفة، كأن تراه يطيع الله في أمر ويعصـيه في آخـر، إن الـذين تـراهم في المسجد مصلين خاشعين، ثم تراهم في السوق يتعاملون بالربا، أو تراهم في البيت أو الشارع أو المدرسة لا يقيمون شرع الله على أنفسـهم وزوجـاتهم وأولادهم ومن يعولون، يعانون من نقص واضطراب في فهمهم وتصورهم لحقيقة هذا الدين المتكامل الذي يقود المسلم في أعماله كلها إلى مرضاة الله (عزّ وجلّ)، فيجعله يزن كل قضية بميزان رضاه، ومن ثـم فهـم يبـدون أنصاف مسلمين، وقد لا يكون لهـم مـن الإسـلام سـوى الاسـم، وهـذا الازدواج في الشخصية من أخطر ما ابتلى به المسلمون في هذا العصر.

مؤد للفرائض والأركان والنوافل: والمسلم يؤدى فـرائض الإسـلام وأركانه أداء كاملا حسنا، لا تهاون فيه ولا تساهل ولا ترخص. فهو يقيم الصلوات الخمس بأوقاتها؛ إذ الصلاة عماد الدين، مـن أقامهـا فقـد أقـام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين[1]، وهي أجل الأعمال وأفضـلها كـما في الحديث الذي رواه ابن مسعود (رضي الله عنه)، قال: سـألت رسـول الله (صلى الله عليه وسلم): أي الأعمال أفضل؟ قال: "الصلاة على وقتهـا"،

(١) انظر إحياء علوم الدين ١/ ١٤٧.

قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين"، قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" متفق عليه.

ذلك أن الصلاة صلة بين العبد وربه، ينقطع فيها الإنسان عن شواغل الحياة، ويتجه بكيانه كله إلى ربه، يستمد منه الهداية والعون والتسديد، ويسأله الثبات على الصراط المستقيم. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه(١) شيء؟" قالوا: لا يبقى من درنه، قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا" متفق عليه. وعن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر جار على باب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات" رواه مسلم. وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فأخبره، فأنزل الله تعالى: "وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ"(هود:١١٤)، فقال الرجل: إلى هذا؟ قال: "لجميع أمتى كلهم" متفق عليه. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن

(١) أى وسخه.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر" رواه مسلم.

وعن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله" رواه مسلم.

ويحرص المسلم على الجماعة الأولى في المسجد ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ ذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخبر أن "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة" متفق عليه. وأخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن المسلم "إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة[1]، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة" متفق عليه. وبشر الرسول (صلى الله عليه وسلم) المصلى الحريص على الجماعة بالجنة في كل غدوة من غدواته إلى المسجد أو روحة إليه، فقال:

---

(١) لهذا كان عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) يقارب بين خطوه، وهو فى طريقه إلى المسجد، لتزداد خطواته فتزداد حسناته.

"من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا، كلما غدا أو راح" متفق عليه.

ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أحرص ما يكونون على صلاة الجماعة، وفي ذلك يقول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): من سره أن يلقى الله تعالى غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم (صلى الله عليه وسلم) سنن الهدي، وإنهن من سنن الهدي، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى[1] بين الرجلين حتى يقام في الصف" رواه مسلم. ويبلغ اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأمر الجماعة في المسجد أن يهم بتحريق بيوت تاركي الجماعة من غير عذر، إذ يقول: "والذي نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب، فيحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم" متفق عليه. فلا عجب بعد ذلك أن نجد مثل سعيد بن المسيب لا يرى خلال ثلاثين سنة قفا أحد في المسجد لأنه كان دائما في الصف الأول قبل الأذان، وأمثال سعيد كثير في تاريخ المسلمين. ولم يكن

(١) أي يمشى بينهما معتمدا عليهما من ضعفه وتمايله.

بعد الدار عن المسجد ليعيق الصحابة الكرام عن حضور الجماعة كلما سمعوا النداء، لما كان للجماعة من أهمية بالغة في نفوسهم، بل إنهم كانوا يسرون ببعد بيوتهم عن المسجد ليكتب لهم ممشاهم إلى المسجد، وتحسب لهم خطواتهم إليه في صحيفة أعمالهم: فعن أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدا أبعد من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاة! فقيل له: لو اشتريت حمارا لتركبه في الظلماء وفي الرمضاء[١] قال: ما يسرنى أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "قد جمع الله لك ذلك كله" رواه مسلم.

ولقد كان من هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) للصحابة الذين بعدت بيوتهم عن المساجد ألا يتحولوا إلى بيوت قريبة منها، وأكد لهم أن آثارهم في السعي إليها ستكتب في صحيفة أعمالهم، وأن خطواتهم الكثيرة إليها لن تضيع: فعن جابر (رضي الله عنه) قال: "خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال لهم: "بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟" قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: "بني سلمة دياركم تكتب

---

(١) أي شدة الحر.

آثاركم، دياركم تكتب آثاركم" فقالوا: ما يسرنا أنا كنا تحولنا" رواه مسلم، وروى البخاري معناه من رواية أنس. وعن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصليها ثم ينام" متفق عليه. وجاء الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء في عدد من النصوص، بين فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) الثواب الجزل العميم لمن شهد الجماعة في هاتين الصلاتين، أجتزئ منها نصين:

الأول: عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام بنصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله" رواه مسلم.

والثاني: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا" متفق عليه. ولا يفوت المسلم التقي الحريص على فوزه في آخرته أن يأتي من النوافل ما يتسع له نشاطه وتنشط إليه نفسه آناء الليل وأطراف النهار؛ ذلك أن الإكثار من النوافل يدني العبد من ربه، ويرفعه إلى مقام حبه له ورضاه عنه، ويشهد لذلك الحديث

القدسي: "ما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه" رواه البخاري.

ويترتب على محبة الله للعبد أن يحبه أهل السماء والأرض، مصداق ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادى في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض" رواه مسلم. ولهذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلى من الليل حتى تتفطر قدماه، فتسأله أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيجيبها: "أفلا أكون عبدا شكورا؟" رواه الشيخان. ويحرص المسلم الحق في صلواته كلها على أن تكون حسنة الأداء، مستكملة الشروط، لا مجرد قيام وقعود وحركات، والذهن شارد،

والنفس مبلبلة، والقلب خواء. وهو لا ينفتل من صلاته توا لينغمر في شواغل الحياة وتيارها الجارف، بل يكون له بعد الصلاة استغفار وأذكار وتسبيحات نصت عليها السنة المطهرة، يتوجه بعدها إلى الله العلى الكبير بدعاء خاشع من أعماق القلب أن يهبه خيري الدنيا والآخرة، وأن يجعل له من أمره رشدا، وبذلك تؤدي الصلاة دورها في تصفية الروح، وترقيق القلب، وتزكية النفس، ولهذا كله كان الرسول صلوات الله عليه يقول: "وجعلت قرة عيني في الصلاة" رواه أحمد والنسائي بإسناد حسن.

ومن هنا كان المصلون الصادقون الخاشعون في حمى الله الآمن، وفي رعايته الشاملة، لا يجزعون إذا مسهم شر، ولا يمنعون إذا غمرهم خير: "إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصلينَ..." (المعارج: ١٩-٢١).

وهو يؤتي الزكاة، إن كان ذا سعة توجب عليه الزكاة، فيحصي ما يتوجب عليه دفعه من هذه الفريضة بكل دقة وأمانة وتقوى، وينفقه في مصارفه المشروعة، ولو بلغ مقدار الزكاة المتوجبة عليه آلافا كثيرة، أو ملايين، ولا يدور في خلده أن يتهرب من بعض ما يتوجب عليه دفعه. وحسبنا أن نعلم أن حابسها يُقاتل ويُهدر دمه، حتى يؤديها كاملة كما بينتها أحكام الدين، وما تزال قوله أبي بكر الصديق في أهل الردة تتردد في سمع

الزمان: "ولأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة". وإنه لقسم من أبي بكر يوحى بعمق فهمه لطبيعة هذا الدين إذ رأى آيات القرآن الكريم تقرن بين الصلاة والزكاة على هذا النحو المتلازم: "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَاةَ" (المائدة: ٥٥). "وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَـاةَ" (البقـرة: ٤٣)، "وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ" (البقرة: ٢٧٧).

والمسلم يصوم رمضان إيمانا واحتسابا، والإيمان يعمر قلبه: "أن من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" متفق عليه. ويعرف حق الصوم عليه في حفظ لسانه وبصره وجوارحه عن كل مخالفة، تخـدش صومه، أو تحبط من أجره: "إذا كان يـوم صـوم أحـدكم فـلا يرفـث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم" متفق عليه. "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يـدع طعامـه وشرابـه" رواه البخاري.

ولا يغيب عن بال المسلم الصائم أنه يعيش شهر الصوم، والصوم لله، وهو الذي يجزي به: "كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف". قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنـا أجـزى بـه، يـدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عنـد لقاء ربه. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك" رواه مسلم.

ومن ثم وجب على المسلم إليقظ أن يغتنم أوقات هذا الشهر المبارك، فيملأها بالعمل الصالح؛ فنهاره صوم وصلاة وتلاوة وصدقة وغير ذلك من الصالحات، وليله قيام وتهجد ودعاء: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" متفق عليه. ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجتهد في رمضان بالإكثار من الأعمال الصالحة ما لا يجتهد في غيره، وبخاصة في العشر الأواخر منه: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره" رواه مسلم. وعنها رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله، وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر" متفق عليه. وكان يأمر بتحرى ليلة القدر، ويرغب في قيامها بقوله: "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان" متفق عليه.

وقوله: "تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان" رواه البخاري. وقوله: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" متفق عليه. ومن ثم كان هذا الشهر الكريم شهر عبادة خالصة، لا مجال فيه للمسلم الجاد أن يقضى الليل في اللهو والسهر الفارغ الطويل، حتى إذا ما قارب طلوع الفجر، وغشيه النعاس، تناول لقيمات، وآوى إلى

فراشه، وراح يغط في نوم عميق، وقد لا يصحو لأداء صـلاة الفجـر!. إن المسلم التقي الواعي تعإليم دينه يعود من صلاة التراويح، فلا يطيل السهر؛ لأنه سيستيقظ بعد سويعات قليلة لقيام الليل وتناول طعام السحور، ثـم الذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الفجر. ولقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالسحور، لما فيه من خير كثير، فقال: "تسحروا، فإن في السحور بركة" متفق عليه. ذلك أن الاستيقاظ للسحور يذكر بقيام الليل، وينشط النفوس للانطلاق إلى المساجد لأداء صلاة الفجر في جماعة، هذا إلى ما فيه من تقوية الأجسام على الصوم، وهذا ما كان يفعله رسـول الله (صـلى الله عليه وسلم)، ويروض عليه أصحابه: فعن زيد بن ثابت قال: "تسحرنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم قمنا إلى الصلاة. قيل: كم كان بينهما؟ قال: خمسون آية" متفق عليه. والمسلم التقي إليقظ لا يفوته صوم النافلة في غير رمضان، كصوم يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم تاسوعاء؛ فصيام هذه الأيام من أفضل الأعمال التي تكفر الذنوب كما أخبر بذلك الرسول (صلى الله عليه وسلم): فعن أبي قتادة (رضي الله عنه) قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن صوم يوم عرفة، فقال: "يكفر السنة الماضية والباقية" رواه مسلم. وعن ابن عباس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه" متفق عليه. وعن أبي قتـادة

(رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن صيام يـوم عاشوراء فقال: "يكفر السنة الماضية" رواه مسلم. وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لئن بقيت إلى قابل[1] لأصومن التاسع" رواه مسلم. وكذلك صوم ستة أيام من شوال، وفي بيان فضل صومها يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "من صام رمضان، ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر" رواه مسلم. ومن الأيام المستحب صيامها ثلاثة أيام من كل شهر، وفي ذلك يقول أبو هريرة (رضي الله عنه): "أوصاني خليلي (صلى الله عليه وسلم) بثلاث: صيام ثلاثة أيام مـن كـل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنـام" متفـق عليـه. وعـن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: "أوصاني حبيبى بثلاث لن أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتـر" رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: قال رسـول الله (صلى الله عليه وسلم): "صوم ثلاثة أيام من كل شـهر صـوم الـدهر كله" متفق عليه. ووردت نصوص تحدد هذه الأيام الثلاثة بالثالث عشر-والرابع عشر والخامس عشر، وتسميها الأيام البـيض، ووردت نصـوص

(١) أى عام قابل.

أخرى تفيد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يصوم ثلاثة أيام غير محددة من كل شهر. فعن معاذة العدوية أنها سألت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم، فقلت. من أي الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالى من أي الشهر يصوم" رواه مسلم.

والمسلم يضع نصب عينيه أن يحج بيت الله متى استطاع إلى ذلك سبيلا، وقبل سفره إلى الديار المقدسة يعكف على دراسة أحكام الحج دراسة مستفيضة، فإذا ما أقبل يؤدى مناسك الحج كان حجه صحيحا تاما، فينقلب بعد هذا الحج المبرور إلى أهله وبلده، وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأفعمت نفسه إيمانا بعظمة هذا الدين الذي جمع أمم الأرض قاطبة حول البيت المعمور، إذ الحجيج على اختلاف ألوانه وأجناسه ولغاته يصدع بالتلبية والتهليل والتكبير والتسبيح والحمد للإله الواحد العلي الكبير.

متمثل معنى العبودية لله: والمسلم يعتقد اعتقادا جازما أنه ما وجد في هذه الحياة إلا لعبادة ربه: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(الذاريات: ٥٦). وعبادة الله تتمثل في كل حركة من حركات الإنسان الإيجابية البناءة لأعمار الكون، وتحقيق كلمة الله في الأرض،

وتطبيق منهجه في الحياة، إن أجل الأعمال التعبدية التي يقوم بها المسلم الحق هو العمل على تحكيم شرع الله في الأرض، وتطبيق منهجه في الحياة، بحيث يحكم حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة. وإن المسلم الصادق ليشعر أن عبادته تبقى ناقصة، إذا هو لم يبذل جهده لإعلاء كلمة الله في الأرض. وبه وحده يتحقق معنى "لا إله إلا الله محمد رسول الله" في واقع الحياة. إذ يفسر له علة وجوده في هذه الحياة: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً" (الإسراء: ٧٠).

فلا بدع أن يضع في سبيل نصرتها كل وقته وجهده وماله؛ ومن ثم كان المسلم الواعي عاملا دوما على نصرة هذه الرسالة وتحقيق هدفها الكبير في الحياة، لا يمنح ولاءه إلا لها، ولا يرفع راية إلا رايتها، ولا يلتزم بعقيدة سواها.

كثير التلاوة للقرآن: ومن أجل بلوغ هذا المرتقى السامي، فهو يكثر من تلاوة القرآن في تدبر وتبصر وخشوع، ويجعل لهذه التلاوة أوقاتا لا تتخلف، يخلو فيها إلى ربه يتلو كلامه، فتتسرب معانيه في نفسه فتزكيها، وتلامس عقله فتنميه، وتخالط قلبه فتزيده إيمانا وطمأنينة: "أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (الرعد:٢٨).

وحسب المسلم أن يتملى الصورة المحببة لقارئ القرآن التي رسـمها الرسول (صلى الله عليه وسلم): "مثل المـؤمن الـذي يقـرأ القـرآن مثـل الأترجة[١]، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القـرآن كمثل التمرة، لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر" متفق عليه.

ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "اقرؤوا القرآن، فإنه يـأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه" رواه مسلم. ويقول أيضا: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران" متفق عليه. فهل يستطيع المسلم بعد هذا أن يتلكأ في تلاوة القرآن وتدبر معانيه؟!.

---

(١) الأترجة: فاكهة ذات رائحة طيبة تشبه الكباد.

ثانيا: المسلم مع نفسه

تمهيد: يريد الإسلام من المسلمين أن يكونوا شامة في الناس، متميزين في زيهم وهيئاتهم وتصرفاتهم وأعمالهم، حتى يكونوا قدوة حسنة، تجعلهم جديرين بحمل رسالتهم العظمى للناس، ففي حديث الصحأبي الجليل ابن الحنظلية أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لأصحابه وكانوا في سفر قادمين على إخوانهم. "إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش". والرحل هو ما يوضع على ظهر الجمل عند ركوبه. والفحش والتفحش: كل ما يشتد قبحه.

فقد عد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الهيئة الرديئة، وإهمال العناية بالمظهر، والتبذل في اللباس: فحشا وتفحشا. فالمسلم يوازن بين جسمه وعقله وروحه، فيعطى لكل حقه، مستهديا بهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المتوازن الحكيم، وذلك فيما يروى عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) علم بمغالاته في العبادة فقال له: "ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل، قال: بلى يا رسول الله. قال: "فلا تفعل، صم وأفطر، ونم وقم؛ فإن لجسدك عليك حقا، وأن

لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا....." رواه البخاري ومسلم.
فكيف يحقق المسلم هذا التوازن بين جسمه وعقله وروحه؟.

أ- جسمه

معتدل في طعامه وشرابه: المسلم يعتدل في طعامه وشرابه، وإنما يصحب من الطعام ما يقيم به صلبه، ويحفظ عليه صحته وقوته ونشاطه، مستهديا بقول الله تعالى في محكم كتابه: "وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأعراف:٣١). ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الاعتدال في الطعام والشراب: "ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه، فإذا كان لا محالة فاعلا، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه(١)".

ويقول عمر (رضي الله عنه): "إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة. وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف. وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه(٢)".

---

(١) حديث حسن، أخرجه أحمد والترمذى وغيرهما، وصححه الحاكم.
(٢) الكنز ٨/ ٤٧ وانظر المقام القيم فى مضار الشبع المفرط على الجسم والعقل والنفس للدكتور الطيب محمد ناظم نسيمى فى مجلة حضارة الإسلام، العديدين: ٥،٦ من السنة: ١٥.

ويجتنب المسلم المخدرات والمنبهات، بله المحرمات منها، ينام مبكرا ويستيقظ مبكرا، ولا يتناول الدواء إلا في حالة المرض. أما فيما عداها، فكل ما في نظام حياته يساعد على الصحة والنشاط الطبيعيين.

والمسلم يعلم أن المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، كما قرر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثم فهو يعمل على تقوية جسمه بإتباع نظام صحى في حياته.

يزاول الرياضة البدنية: إن المسلم الحق، إن كان في الغالب صحيح الجسم قوي البدن، لبعده عن المنهكات والمهلكات من المأكولات والمشروبات الضارة الخبيثة المحرمة، ولتجنبه العادات السيئة المجهدة المنهكة كالسهر والانهماك بما يوهي العزيمة ويحط الجسم، ليعمل جاهدا على كسب المزيد من القوة لجسمه، بمزاولة الرياضة المدروسة التي تناسب جسمه وعمره ووضعه الاجتماعي، وتهب جسمه قوة ونشاطا وحيوية ومناعة من العلل والأمراض، ويضع لذلك مواعيد لا تخلف، لتؤتى هذه التمارين أكلها، وتعطي نتاجها الطيب لجسمه، كل ذلك باعتدال وتوازن ونظام.

نظيف الجسم والثياب: والمسلم الذي يريده الإسلام نظيف في جسمه، ويستحم كثيرا، وفي فترات متقاربة مستجيبا في ذلك لهدي النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي حث على الاغتسال الكامل والتطيب، بخاصة يوم الجمعة، فقال: "اغتسلوا يوم الجمعة، واغسلوا رؤوسكم، وإن لم تكونوا جنبا، وأصيبوا من الطيب" رواه البخاري.

والمسلم نظيف في ثوبه وجوربه، فلا يرضي أن تفوح من أردانه أو قدميه رائحة منفرة، ويستعين على ذلك بالطيب أيضا، فلقد حكى عن عمر (رضي الله عنه) أنه كان يقول: "من أنفق ثلث ماله في الطيب ما كان مسرفا".

ويتعهد المسلم فمه، فلا يشم أحد منه رائحة مؤذية، وذلك بتنظيف أسنانه يوميا بالسواك والفرشاة والمطهرات والمنظفات، ويتفقد فمه، فيعرضه على طبيب الأسنان مرة في كل سنة على الأقل، وعلى غيره من أطباء الفم والحنجرة والبلعوم، إن احتاج الأمر إلى ذلك يبقى فمه نقيا معطر الأنفاس. تروى السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "كان لا يرقد ليلا ولا نهارا، فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ" حديث حسن، رواه أحمد وأبو دواد. وتبلغ عناية الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنظافة الفم حدا يجعله يقول: "لولا أن أشق على أمتى

لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" رواه الشيخان. وسئلت السيدة عائشة عن أي شيء يبدأ به الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا دخل بيته، فقالت: "السواك" رواه مسلم. إنه مما يؤسف له أن نرى بعض المسلمين لا يعتنون بنظافة أفواههم وأبدانهم وملابسهم، فتراهم يغشون المساجد وغيرها من مجالس الذكر وحلقات الدرس والمذاكرة، وروائحهم البشعة تؤذى إخوانهم الحاضرين، وتنفر الملائكة التي تحف هذه الأماكن الجليلة المباركة. ومن عجب أنهم يسمعون ويرددون قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيمن أكل ثوما أو بصلا أو كراثا، ألا يقرب المساجد لكيلا يؤذى برائحة فمه الملائكة والناس: "من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" رواه مسلم. وروى الأمام أحمد والنسائي عن جابر(رضي الله عنه)، أنه قال: أتانا رسول الله زائرا، فرأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: "ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه؟!" . لقد أنكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يظهر الإنسان على الملأ بثياب وسخة ما دام قادرا على غسلها وتنظيفها، إشعارا منه (صلى الله عليه وسلم)، للمسلم بأن يكون دوما نظيف الثياب، حسن المظهر، محبب المنظر. وكان يقول: "ما على أحدكم إن وجد أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته" رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح. إن الإسلام

ليحض أبناءه جميعا على النظافة، وتفوح من أجسـامهم الـروائح النظيفـة العطرة الزكية. وهذا ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه الإمام مسلم بإسناده عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: "ما شممت عنبرا قط، ولا مسكا، ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله (صلى الله عليـه وسلم)". والأحاديث والأخبار في نظافة جسمه وملابسه، وطيـب ريحـه وعرقه، (صلى الله عليه وسلم) كثيرة مستفيضة.

منها: أنه كان إذا صافح المصافح، ظل يومه يجد ريح الطيب في يـده، وإذا وضع يده على رأس الصبى، عرف من بين الصبيان بالرائحة الزكيـة. وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يمر في طريق، فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه. ونام مرة في دار أنس، فعرق، فجاءت أم أنس بقارورة تجمع فيها عرقه، فسألها رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك، فقالت: هذا عرقك، نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب. رواه مسلم.

ومن هدي الرسول العظيم أمره (صلى الله عليه وسلم) برعاية الشعر وإصلاحه وتجميله؛ وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريـرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من كان له شعر فليكرمه". وإكرام الشعر يكون بتنظيفه وتمشـيطه وتطييـه وتحسـين

شكله وهيئته. وقد كره النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يدع الإنسان شعره مرسلا مهملا شعثا منفوشا، بحيث يبدو للأعين كأنه الغول الهائج، وشبهه منظره بالشيطان، وذلك في الحديث الذي رواه الإمام مالك في الموطأ مرسلا عن عطاء بن يسار، قال: "كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول بيده، كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته، ففعل ثم رجع، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "إليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم وهو ثائر الرأس كأنه شيطان؟!".

حسن الهيئة: والمسلم يعنى بلباسه وهندامه؛ ولذلك تراه حسن الهيئة، أنيق المظهر، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتجمل لأصحابه فضلا عن تجمله لأهله. و قوله تعالى: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ"، وروى مكحول عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينتظرونه على الباب، فخرج يريدهم وفي الدار ركوة فيها ماء، فيجعل ينظر في الماء، ويسوى لحيته وشعره. قالت عائشة: فقلت له: يا رسول الله، وأنت تفعل هذا؟ قال: نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه، فليهيئ من نفسه، فإن الله جميل يحب الجمال".

والمسلم يفعل هذا كله وفق نظرية الاعتدال التي لا إفراط فيها ولا تفريط: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً" (الفرقان:٦٨). فليس من الإسلام في شيء أن يسف الإنسان في مظهره إلى درجة الإهمال المزري بصاحبه، فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرى في هذا التجمل وحسن الهندام إظهارا لنعمة الله عليه: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده[1]". وأخرج ابن المبارك والطبراني والحاكم والبيهقى وغيرهم عن عمر (رضي الله عنه) قال: "رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعا بثياب جدد، فلبسها، فلما بلغت تراقيه قال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتى". وما دام التجمل لا يبلغ حد التأنق المفرط، فهو من الزينة الطيبة التي أباحها الله لعباده وحض عليها: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (الأعراف:٣٢-٣٣).

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من

(١) حديث حسن، رواه الترمذى والحاكم.

كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟ - يعنى: أيعد هذا من الكبر؟- قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق، وغمط الناس(١)". وهذا ما فهمه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان وساروا عليه. ومن ثم كان الإمام أبو حنيفة (رضي الله عنه) حسن الهيئة والثياب، طيب الريح، حريصا على دوام التأنق في الملبس وكان يحث الناس على ذلك، ولقد رأى ذات يوم أحد جلسائه في ثياب رثة، فانفرد به وقدم إليه ألف درهم ليصلح بها هيئته، فقال له الرجل: إني موسر، وفي نعمة، ولا أحتاج إليها، فقال له أبو حنيفة معاتبا: أما بلغك الحديث: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده؟" فينبغي لك أن تغير حالك، حتى لا يغتم بك صديقك. وبدهي أن الدعاة إلى الله ينبغى أن يعنوا بهيئاتهم ونظافة أبدانهم وثيابهم وأظافرهم وشعورهم، ولو كانوا في خلوة مع أنفسهم، مستجيبين بذلك لنداء الفطرة السليمة التي أخبر بها وبمستلزماتها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوله: "خمس من الفطرة: الختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب" رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أي احتقارهم والاستهانة بهم.

ب- عقله

العلم عند المسلم فريضة وشرف: يعتقد المسلم أن تعهد العقل بالعلم فريضة؛ لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم). "طلب العلم فريضة على كل مسلم" حديث حسن، رواه ابن ماجه. وحسب المسلم تشجيعا على طلب العلم أن الله تبارك وتعالى رفع من شأن العلماء، فقال: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (فاطر:٢٨). ثم فضلهم على غير العالمين بقوله: "هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ" (الزمر:٩).

وجاء صفوان بن عسال المرادى (رضي الله عنه) إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو في المسجد، فقال له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: "مرحبا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب" رواه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح.

طلب العلم مستمر حتى الممات: إن التعلم الحق هو أن تستمر في مطالعاتك، وتزداد كل يوم علما، عملا بقوله تعالى: "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً" (طه:١١٣). وقد كان سلفنا الصالح مهما عظمت منزلتهم العلمية لا

يكفون عن الاستزداة من التعلم ومتابعة التحصيل حتى أخر العمر، ولهم في ذلك أقوال رائعة، منها ما رواه الإمام ابن عبد البر عن ابن أبي غسان، قال: "لا تزال عالما ما كنت متعلما، فإذا استغنيت كنت جاهلا". وقال الإمام مالك (رضي الله عنه): لا ينبغى لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلم". وقيل للإمام عبد الله بن المبارك: "إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات، ولعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد". وهذا الإمام فخر الدين الرازي المفسر الكبير، ذو التصانيف الكثيرة، المتوفي سنة ٦٠٦، لما ورد هذا الإمام مدينة مرو، توافدت عليه جموع العلماء والطلبة ليأخذوا عنه، ويعتزوا بالانتساب إلى التلقي منه، وكان في جملة جموع الطلبة الذين يحضرون مجالسه طالب أديب عالم بالأنساب، لا يبلغ العشرين من العمر، فلما كان الإمام فخر الدين لا يحسن هذا العلم، طلب من تلميذه هذا أن يعلمه إياه، ولم يجد غضاضة من التتلمذ عليه، فأجلسه مجلس الأستاذ، وجلس هو بين يديه، فكان هذا وسام تواضع ورفعة ازدانت به سيرة الإمام فخر الدين الرازي، وما نقص ذلك من مقامه العظيم، وهو إمام عصره، ألا ما أحب العلم إلى قلوب هؤلاء العلماء! وما أجله في نفوسهم! وما أرفعه في أعينهم! وما أحوج الخلف إلى الاقتداء بهذا السلف العظيم!

ما ينبغى للمسلم اتقانه: وأول ما ينبغى للمسلم أن يتقنه من العلـم كتاب الله تعالى: تلاوة، وتجويدا، وتفسيرا، ثم يلم بعلوم الحديث، والسيرة وأخبار الصحابة والتابعين من أعلام الإسلام، ويطلع من الفقـه عـلى مـا يلزمه لإقامة عباداته ومعاملاته، ومعرفة أحكام دينه على أساس قويم. هذا، إذا كان المسلم مختصا في غير علوم الشريعة. أما إذا كان مختصا في علم من علوم الشريعة، فينطبق عليه ما ينبغى للمسلم أن يحققه في مجال اختصاصه من إتقان ودقة ونجاح. ومن نافلة القـول أن يكـون المسـلم متقنـا اللغـة العربية، متمكنا منها.

يتقن ما تخصص به: ويلتفت المسلم بعد ذلك إلى اختصاصه، فيقبـل عليه إقبال المسلم المعتقد أن عمله في دائرة اختصاصه فريضة، سواء أكان اختصاصه في علم من علوم الشريعة والدين، أم في علم من علوم الـدنيا، كالرياضات والفيزياء والكيمياء والهندسـة والفلـك والطـب والصـناعة والتجارة وغيرها، ومن ثم يتوجب عليه أن يتقن العلم الذي اختص فيه كل الإتقان، فلا يدخر وسعا في الإحاطة بكل ما كتب عنه في شتى اللغات إن استطاع، ويبقى دوما يرفد عقله بالجديد من مستحدثات ذلك. ومن هنا كنا نجد علماء السلف يحرصون في مقدمات كتـبهم عـلى تأكيـد هـذه المعـاني

السامية؛ ذلك أنهم كانوا يبتغون من العلوم التي أفنوا أعمارهم في نشرها مرضاة الله عز وجل، مقدمين ثمرات قرائحهم خالصة لوجهه الكريم.

يفتح نوافذ على فكره: ولا يكتفي المسلم بدائرة اختصاصه، بل يفتح نوافذ على فكره وعقله، فيقرأ شتى الكتب والمجلات العلمية والأدبية والثقافية في مختلف العلوم والفنون النافعة، وبخاصة القريبة منها إلى دائرة اختصاصه، فيأخذ بذلك من كل لون من ألوان المعرفة بطرف، ينشط بها ذهنه، ويوسع أفقه، وينمي ملكاته العقلية.

يتقن لغة أجنبية: ولا ينسى أن يكون لبعض اللغات الأجنبية من اهتمامه نصيب، فاللغة الأجنبية في هذا العصر من ألزم مستلزمات الثقافة للمسلم النابه النشيط المتفهم متطلبات الحياة الإسلامية المعاصرة، ذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا إلى تعلم اللغات الأجنبية منذ خمسة عشر قرنا، ليكون المسلمون دوما قادرين على الاتصال بشتى الأمم والأجناس، ودعوتها إلى الحق الذي كلفهم الله بحمله إلى العالمين. نرى مصداق ذلك في الحديث الذي رواه زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له: "يا زيد، تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي"، قال زيد: فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا كتب إليهم، وأقرأ إذ كتبوا إليه.

وفي رواية: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أتحسن السريانية؟ فإنها تأتيني كتب"، قلت: لا، قال: "فتعلمها"، فتعلمتها[١]". ومن هنا كان ابن الزبير (رضي الله عنه) يتقن عددا من اللغات دون أن تشغله هذه اللغات عن دينه وأخرته، فقد كان له مئة غلام وكان يكلم كل واحد منهم بلغته، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر أخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين[٢]. والمسلم المعاصر مطالب أكثر من أي وقت مضى بإتقان بعض اللغات الأجنبية، ليعيش عصره، ويطلع على الجوانب الإيجابية والسلبية مما يتصل بثقافة أمته وتراثها ودينها فيما كتب بغير لغته ليكون درعها الواقي يدرأ عنها الشر، ولسانها الأمين يجلب إليها الخير.

ج- روحه

لا ينسى المسلم وهو يتعهد نفسه، ويبني كيانه الجسمي والعقلي، أنه ليس مكونا من جسم وعقل فحسب، وإنما يدرك أن له قلبا يخفق، وروحا تهفو، ونفسا تحس، وأشواقا عليا تدفعه إلى السمو والاستغراق في عالم

---

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٤٩، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٣٤.

العبادة، والتطلع إلى ما عند الله من نعيم، والخشية مما لديه من أنكال وجحيم.

يصقل روحه بالعبادة: ومن ثم كان لزاما على المسلم أن يعنى بروحه، فيقبل على صقلها بالعبادة والمراقبة لله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار، بحيث يبقى يقظا متنبها، متقيا أحابيل الشيطان الماكرة، و وسوساته المردية. فإذا مسه طائف من الشيطان في لحظة من لحظات الضعف البشرى، هزته الذكرى، فارتد بصيرا متيقظا تائبا مستغفرا: " إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ" (الأعراف:٢٠١).

ولهذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول لأصحابه: "جددوا إيمانكم". قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: "أكثروا من قول لا إله إلا الله" رواه أحمد بسند جيد. والمسلم يستعين على تقوية روحه وإصلاح نفسه بضروب من العبادة كتلاوة القرآن في أناة وتدبر وخشوع، والذكر في إخبات وحضور قلب، والصلاة القويمة المستكملة شروط الصحة والخشوع وحضور الذهن، مدربا نفسه على القيام بهذه الطاعات، بحيث تصبح دينه وعاداته وسجاياه، وبذلك ترهف نفسه، ويرق شعوره، وتتيقظ حواسه، فإذا هو مراقب لله في السر والعلانية، مستحضر خشية الله

ومراقبته إياه في تعامله مع الناس، لا يجور، ولا يحيد عن الحق، ولا ينحرف عن جادة السبيل.

يلزم الرفيق الصالح ومجالس الإيمان: ويستعين المسلم بالرفيق الصالح الذي يتواصى وإياه بالحق، ويتواصيان بالصبر، وبالإكثار من مجالس الإيمان التي يكثر فيها ذكر الله، وتدور فيها الأحاديث عن الإسلام وعظمته في تربية الفرد والأسرة والمجتمع، ففي مثل هذه المجالس تزكو الروح، وتصقل النفس، ويصفو القلب، وتخالط كيان الإنسان كله بشاشة الإيمان.

ولهذا كان عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه) إذا لقى الرجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "تعال نؤمن بربنا ساعة"، ويبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) فيقول: "يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة" رواه أحمد بإسناد حسن. وكان الخليفة الراشد عمر الفاروق (رضي الله عنه) ينتزع نفسه من شواغل الخلافة وأعباء الحكم، ويأخذ بيد الرجل والرجلين، فيقول: "قم بنا نزداد إيمانا" فيذكرون الله عز وجل[1]. وكذلك كان معاذ بن جبل (رضي الله عنه) يقول لأصحابه، وهم يمشون: "اجلسوا بنا نؤمن ساعة[2]". إن المسلم

---

(١) حياة الصحابة ٣/ ٣٢٩.

(٢) حياة الصحابة ٣/ ٣٢٩.

مسؤول عن تقوية روحه وتزكية نفسه، ودفعها دوما إلى أعلى، وحمايتها أبدا من الارتكاس إلى أدنى: " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا" (الشمس:٧-٩).

ومن هنا كان المسلم مطالبا بأن يحسن اختيار الأخلاء والبيئات التي لا تزيده إلا إيمانا وصلاحا وتقوى وتبصره، وأن يعرض عن رفاق السوء من شياطين الإنس، وعن مجالس الفحش والمعصية التي تظلم فيها النفس ويصدأ القلب: "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً" (الكهف:٢٨).

يكثر من ترديد الصيغ والأدعية المأثورة: ومما يستعين به المسلم على تقوية روحه وربط قلبه بالله. ترديده الصيغ المأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في كل عمل من الأعمال التي ورد فيها للرسول الكريم دعاء. فلقد كان له في الخروج من البيت دعاء، وللدخول فيه دعاء، ولوداع المسافر دعاء، ولاستقباله دعاء، وللبس الثوب الجديد دعاء، وللاضطجاع في الفراش دعاء، وللاستيقاظ من النوم دعاء وهكذا لم يكد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقوم بعمل إلا وكان له فيه دعاء يتوجه به لله تعالى مما هو مبسوط في كتب الحديث الصحيح عن رسول الله (صلى الله عليه

وسلم)[1]، وكان يعلم الصحابة الكرام هذه الأدعية والأذكار، ويحضهم على قولهم في أوقاتها. والمسلم يحرص على تعلم هذه الصيغ المأثورة الرائعة، تأسيا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه الأبرار، ويثابر على تردادها في أوقاتها ومناسباتها، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وبذلك يبقى قلبه موصولا بالله عز وجل، وتزكو نفسه، وتسمو روحه، ويرهف وجدانه.

---

(١) انظر كتاب الأذكار للنووى.

ثالثا: المسلم مع والديه

بر بهما: إن من أبرز صفات المسلم البر بالوالدين والإحسان إليهما؛ ذلك أن البر بالوالدين أمر من أجل الأمور التي حض عليها الإسلام، وأكدتها نصوصه القاطعة الحاسمة. والمسلم لا يسعه إلا أن يكون البر بالوالدين سجية من ألزم سجاياه، وخليقة من أبرز خلائقه.

عارف قدرهما وما يجب عليه نحوهما: لقد رفع الإسلام مقام الوالدين إلى مرتبة لم تعرفها الإنسانية في غير هذا الدين؛ إذ جعل الإحسان إليهما والبر بهما في مرتبة تلي مرتبة الإيمان بالله والعبودية له، "وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً". (النساء:٣٦). ومن ثم كان المسلم الصادق الواعي أبر بوالديه من أي إنسان في الوجود. ويسمو القرآن الكريم في تصوير مكانة الوالدين، وبسط الأسلوب الخلقي الراقي الذي ينبغي للمسلم أن يتبعه في معاملة والديه، إن تنفس بهما أو بأحدهما العمر، وبلغا مرحلة الهرم والشيخوخة والعجز، فيصل إلى الغاية التي ما عرفتها الإنسانية قبل أن تسطع شمس هذا الدين علي الأرض: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا

فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً" (الإسراء:٢٣).

إنه الأمر الرباني الخالد للمسلم: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً"، والربط المحكم بين عبادة الله وبر الوالدين، وفي ذلك رفع لقيمة الوالدين، وإعلاء لشأنهما، ويستجيش وجدان الرحمة والعطف والبر في نفوس الأبناء: "إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا"، فهما إذاً (عندك) في رعايتك وحمايتك وحفظك، وقد يكونان شيخين هرمين ضعيفين، فحذار حذار أن تند منك كلمة تذمر أو تململ أو ضيق: "فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا"، بل يجب عليك أن تفكر طويلاً في الكلمة الطيبة توجهها إليهما ليطيبا بها نفساً، ويقرا عيناً: "وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً"، ولتكن وقفتك بين أيديهما وقفة الاحترام البالغ والتقدير المتناهي، الشبيه بوقفة التذلل والاستسلام والخضوع: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ" ولينطلق لسانك لاهجاً بالدعاء لهما علي ما أسديا لك من يد لاتنسى، إذ ربياك صغيراً قاصراً ضعيفاً: "وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً".

والمسلم المفتوح القلب، يتلقى دوماً مثل هذا في عدد من آيات الله البينات، فيزداد لوالديه احتراماً، وبهما برا: "وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً" (النساء: ٣٦)، "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ

حُسْناً" (العنكبوت:٨). "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ" (لقمان: ١٤).

والباحث المتأمل في النصوص الواردة في بر الوالدين، يجد الأحاديث الشريفة تترى مواكبة الآيات الكريمة، مؤكدة فضل بر الوالدين، محذرة من عقوقهما أو الإساءة إليهما مهما تكن الأسباب: فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: سألت النبي (صلى الله عليه وسلم): أي العمل أحب إلى الله؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين"، قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". متفق عليه. لقد جعل الرسول المربي العظيم بر الوالدين بين أعظم عملين في الإسلام: الصلاة على وقتها، والجهاد في سبيل الله. والصلاة عماد الدين، والجهاد ذروة سنام الإسلام. ويأتي الرسول (صلى الله عليه وسلم) رجلٌ يبايعه علي الهجرة والجهاد يبتغي الأجر من الله تعالى، فيتريث في قبوله، ويسأله: "فهل من والديك أحدٌ حيٌ؟"، فيقول الرجل: نعم، بل كلاهما، فيقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "فتبتغي الأجر من الله تعإلى؟"، فيجيبه الرجل: نعم، فيقول الرسول البر الرحيم: "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما" متفق عليه. وفي رواية للشيخين: جاء رجل فاستأذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الجهاد، فقال: "أحي والداك؟" قال: نعم، قال: "ففيهما فجاهد". لم يفت

الرسول القائد، وهو يعبئ كتائب الجيش للجهاد، أن يذكر بقلبه الإنساني الرقيق ضعف الوالدين وحاجتهما لابنهما، فيصرف هذا المتطوع للجهاد عن التطوع، ويلفته برفق إلى العناية بوالديه، وإنه لفي حاجة إلى كل ساعد يضرب بالسيف آنذاك، تقديراً منه (صلى الله عليه وسلم) لخطورة البر بالوالدين وحسن القيام علي شؤونهما في منهج الإسلام الكامل المتوازن الفريد الذي رسمه الله لسعادة الإنسان.

ولما أنكرت أم سعد بن أبي وقاص عليه إسلامه، وقالت له: إما أن ترجع عن إسلامك وإما أن أضرب عن الطعام حتى أموت، فتكسب معرة العرب، إذ سيقولون: قاتل أمه، أجابها سعد: تعلمين والله لو كان لك مئة نفس، وخرجت نفساً ما رجعت عن إسلامي. وصبرت أمه يوماً فيومين، وفي إليوم الثالث أجهدها الجوع فطعمت، وأنزل الله تعإلى قرأناً تلاه الرسول علي المسلمين فيه عتاب لسعد علي شدته مع أمه في جوابه لها: "وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفا" (لقمان:١٥).

وفي قصة جريج العابد عبره بالغة في أهمية بر الوالدين والمسارعة في طاعتهما، إذ نادته أمه وهو يصلى، فقال: رب، أمي أم صلاتي؟ وأختار صلاته، ونادته ثانية، فلم يجبها وبقي في صلاته، ونادته ثالثة، فلما لم يجبها

دعت عليه ألا يميته الله حتى يريه وجوه المومسات. وزنت مومس براع فحملت منه. فلما خشيت انفضاح أمرها قال لها الراعى: إن سئلت عن أبي المولود فقولي: جريج العابد، فقالت. وهب الناس يخربون صومعة جريج واقتاده الحاكم للساحة، فبينما هو في الطريق تذكر دعاء أمه فتبسم. ولما قدم للعقاب استمهل حتى يصلى ركعتين، ثم طلب الغلام وهمس بإذنه: من أبوك؟ فقال" أبي فلان الراعي(١)، فهلل الناس وكبروا وقالوا نعيد بناء صومعتك فضة وذهباً، فقال: لا، بل أعيدوها كما كانت من تراب وطين. وفي هذا الحديث الذي رواه البخاري يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): لو كان جريح فقيهاً لعلم أن إجابته والدته ألزم من استرساله في صلاته. ومن ثم رأى الفقهاء أن المرء إذا كان في صلاة النفل، وناداه أحد والديه فعليه أن يقطع صلاته ويجيبه.

بر بهما ولو كانا غير مسلمين: ويسمو نبي الإسلام العظيم بتوجيهاته الكريمة إلى ذروة الإنسانية إذ يوصي ببر الوالدين والإحسان إليهما، ولوكانا على غير دين الإسلام، وذلك فيما حدثتا به أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت: قدمت عليَّ أمي، وهى مشركة في عهد رسول الله

---

(١) هذا الغلام أحد الثلاثة الذين نطقوا فى المهد، والآخران عيسى بن مريم، والغلام الذى كان مع أمه فى أهل الأخدود.

(صلى الله عليه وسلم)، فاستفتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قلت: قدمت عليَّ أمي وهى راغبة[١]، أفأصل أمي؟ قال: "نعم صلى أمك" متفق عليه. إن المسلم الحق الواعي هذه التوجيهات القرآنية العإلية، واللفتات النبوية السامقة، لا يسعه إلا أن يكون من أبر خلق الله بوالديه، وأحسنهم عشرة لهما، في كل حال وفي كل آن، وهذا ما كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان؛ فقد سأل رجل سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) قائلاً: لقد فهمت آية بر الوالدين كلها إلا قوله تعالى: "وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً"، فكيف يكون القول الكريم؟ فأجابه سعيد: يعنى خاطبهما كما يخاطب العبد سيده. وكان ابن سيرين (رضي الله عنه) يكلم والدته بصوت ضعيف، كأنه صوت مريض إجلالا لها واحتراماً.

كثير الخوف من عقوقهما: ونحن إذا غادرنا هذه الصفحة المشرقة الوضيئة من التحبيب بالبر بالوالدين، وأدرنا الطرف بالصفحة المقابلة في التحذير من عقوقهما، رأيناها صفحة سوداء معتمة قاسية، تقرع قلب الولد العاق الصلد، وتهز ضميره من الأعماق. إنها لَتَجْبَهُ كل عاق لوالديه باقتران العقوق بالإشراك بالله، كما اقترن البر بهما هناك بالإيمان بالله، فإذا العقوق جريمة سوداء بشعة قاتمة، ينهلع لها لب المسلم الصادق، ويطير لها صوابه.

(١) أى طامعة فيما عندى تسألنى شيئاً.

إنها أكبر الكبائر، وأفدح الخطايا والذنوب: عن أبي بكرة نفيع بن الحارث قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" ثلاثاً. قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين" متفق عليه.

يبر أمه ثم أباه: ولكيلا يختل التوازن عند الأبناء في بر أحد الوالدين على حساب الآخر، جاءت توجيهات الإسلام تشمل الوالدين كليهما، وتخص كلا من الأم والأب على انفراد. فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسأل الرجل الذي جاءه مبايعاً على الجهاد كما رأينا آنفاً: "فهل من والديك أحد حى؟"، وهذا تقرير من الرسول (صلى الله عليه وسلم) بوجوب البر لكلا الوالدين على السواء. ورأينا أيضاً في حديث أسماء أنه أمرها بصلة أمها المشركة. وجاءه رجل فسأله: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتى؟ فأجابه الرسول (صلى الله عليه وسلم): "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال "أبوك" متفق عليه. ففي هذا الحديث تأكيد من الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أن بر الأم مقدم على بر الأب، وكان الصحابة الكرام يؤكدون للمسلمين هذا المعنى بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حتى إن ابن عباس (رضي الله عنه)، حبر الأمة وفقيهها، جعل بر الوالدة أقرب الأعمال

إلى الله؛ فقد جاءه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها، فقتلتها، فهل لى من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا. قال: تب إلى الله (عزّ وجلّ)، وتقرب إليه ما استطعت. قال عطاء بن يسار راوى هذا الحديث عن ابن عباس: فذهبت، فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله (عزّ وجلّ) من بر الوالدة [1]. ولقد استثار القرآن مشاعر البر والعرفان في نفوس الأبناء، فوصى بالوالدين، ونوه بفضل الأم في الحمل والرضاعة، وما تكابد من مشاق ومتاعب في هاتين المرحلتين من مراحل الحياة في صورة لطيفة حانية توحى بالبذل النبيل: "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ" [2] وَفِصَالُهُ [3] فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرُ" (لقمان:١٤). فشكر الوالدين على ما أسديا للولد من خير يلى شكر الله (عزّ وجلّ)، رأس الفضائل والأعمال الصالحات. ويا للمنزلة الكريمة العليا التي أحلها هذا الدين الوالدين!

وقد تقبل الدنيا على الولد، وتدر عليه الأرزاق، فتمتلئ خزائنه بالمال،

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد.

(٢) أى ضعفا على ضعف.

(٣) أى فطامه.

وتشغله الزوجة الحسناء والأولاد، فينصرف عن العناية بوالديه، وينسى أباه وما أنفق في سبيله من مال، فيمسك يده عنه، فيبوء بغضب من الله. ولكن المسلم الحق الصادق في نجوة من هذا كله، لأنه على اتصال دائم بتوجيهات الإسلام العإلية الحكيمة. إنه ليسمع حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): "أنت ومالك لأبيك"(١). فيهتز كيانه لهذا الأدب النبوي، وتتفتح نفسه للهداية، فإذا هي تمتلئ بالبر والرعاية والحب والعطاء، وإذا هو في منجاة من العقوق وعصمة، وإذا هو حقاً كما أراد له رسول الإسلام أن يكون: هو وماله لأبيه.

يبر أهل ودهما: ولم تقتصر توجيهات هذا الدين الحنيف على بر الوالد، بل تعدتها إلى من يحب ويصفي الود. فعن ابن عمر (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه". وفي رواية:

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه بإسناد حسن. ونص الحديث: أن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله إن لى مالاً وولداً، وإن والدى يريد أن يجتاح مالى، فقال: "أنت ومالك لأبيك، إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم". وفى رواية الإمام أحمد: "فكلوه هنيئاً". وقد علق الإمام الخطابى على هذا الحديث بقوله: "معنى يجتاح مالى: يستأصله فيأتى عليه، ويشبه أن يكون ما ذكره السائل من اجتياح والده ماله، إنما هو بسبب النفقة عليه، وأن مقدار ما يحتاج إليه للنفقة عليه شئ كثير لا يسعه عفو ماله والفضل منه، إلا أن يجتاح أصله ويأتى عليه، فلم يعذره النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولم يرخص له فى ترك النفقة، وقال له: "أنت ومالك لأبيك" على معنى أنه إذا احتاج إلى مالك أخذ منك قدر الحاجة كما يأخذ من مال نفسه، وإذا لم يكن لك مال، وكان لك كسب، لزمك أن تكسب وتتفق عليه".

"إن من أبر البر صلة الرجل ود أبيه بعد أن يولى" رواه مسلم. وصـادف عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) صديقاً لوالده عمر (رضي الله عنه)، فبالغ في بره وإكرامه، فقال له بعض من معه: أما كان يكفيـه أن تتصـدق عليـه بدرهمين؟ فقال ابن عمر قال النبي (صلى الله عليـه وسـلم): "احفـظ ود أبيك، لا تقطعه فيطفئ الله نورك" رواه مسلم.

وسأل رجل النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما؟ قال: "نعم، خصال أربع: الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التـي لا رحم لك إلا من قبلهما"(١). إنها لأعلى مراتب الحب والوفاء والبر والإجلال للوالدين أن يصل الولد أصدقاءهما في حياتهما وبعد مماتهما.

أسلوبه في بره لهما: إن المسلم الذي صاغه الإسلام إنسان بار بوالديه، يحيطهما بأجمل مظاهر الاحترام والتقدير، يقوم لهما إذا قـدما عـلى مجلسـه، وينكب على أيديهما لثماً وتقبيلاً، يغض من صوته أمامهما تأدباً منه وإجلالاً لهما، ويخفض لهما من جناحه، وينتقى العبارات المهذبة اللطيفـة في حديثـه معهما، فلا يجرى على لسانه معهما لفظ ناب أو عبارة خشـنة جارحـة، ولا يبدو منه في تعامله معهما فعل عار عن أدب التوقير والتكريم والإجـلال،

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد.

مهما تكن الظروف والأحوال، مستهدياً دوماً بقوله تعالى: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً" (الإسراء:٢٣ -٢٤).

وقد يكون الوالدان منحرفين عن جادة الصواب، حائدين عن طريق الحق، فواجب الولد المسلم البار في مثل هذه الحالة أن يتأتى إليهما برفق وتؤدة ولباقة وسماحة، ليزحزحهما عن الباطل الذي يتمسكان به، لا يشتد، ولا يغلظ، ولا يقسو، ولا ينهر، بل يحاول إقناعهما بذكاء وتلطف، حتى يلفتهما إلى الحق الذي يؤمن به، وسلاحه في هذا كله الحجة القوية، والمنطق السليم، والأسلوب المهذب الحكيم. ولا ينسى المسلم أنه مطالب بهذا الأسلوب مع والديه حتى لو كانا مشركين. إنه مطالب حتى في حالة شركهما أن يحسن معاشرتهما، وإنه ليعلم أن الشرك أكبر الكبائر. إنه ليمتثل في ذلك أمر الله جل وعلا إذ يقول: "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثُمَّ إِلَى مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (لقمان:١٤-١٥).

إن الوالدين لأقرب الأقرباء، وأحب الأحباب، ولكن رابطتهما – على جلالة قدرهما – تأتى بعد رابطة العقيدة، فإن كانا مشركين وأمرا ابنهما بالشرك، فلا طاعة لهما عليه؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن الولد يبقى ملزماً ببرهما ورعايتهما والإحسان إليهما، في حدود طاعة الله (عزّ وجلّ)، لا يدخر وسعاً في تقديم ألوان البر والرعاية والإكرام لهما، من مأكل شهى، وملبس نفيس، وسكن مريح، وفوق ذلك كله: الكلمة الطيبة، والوجه الطلق، الباسم الثغر، الفائض بالحب والحنان والوفاء والعرفان بالفضل لصاحبى الفضل الكبير، الوالدين.

ويمتد بر المسلم لوالديه إلى ما بعد وفاتهما، بالتصدق عنهما، والإكثار من الدعاء لهما بمثل قوله تعالى: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً" (الإسراء:٢٤). وبعد، فهذا هو هدي الإسلام في بر الوالدين، وهذا هو المسلم الحق المهتدى به، وما ينبغى للمسلمين أن تغيب فيهم هذه الخليقة، مهما تعقدت أمور الحياة، ومهما طرأ عليها من تطور، ومهما تجمع فوقها من ركام العادات المستوردة؛ فهى من الخلائق التي تحفظهم من تحجر القلب، وتقيهم من أنانية السلوك، وتردهم إلى أصالتهم وإنسانيتهم ووفائهم، إذا ما تردى غيرهم في حضيض الأثرة والجحود والكفران، وهي فوق ذلك كله، تفتح لهم أبواب الجنان.

رابعا: المسلم مع زوجته.

شرع الله -تعالى- لعباده الزواج، وحضّ عليه في كتابه، وفي سنّة نبيه عليه السلام، حيث قال الله تعالى: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)، وأمّا نبيه محمد -عليه الصلاة والسلام- فقد تزوّج النساء، وقال في رجالٍ جاؤوه زاهدين في الدنيا أحدهم قد رَغب عن الزواج؛ رغبةً في التفرّغ للعبادة، فأجابهم النبي -عليه السلام- بقوله: (أما واللهِ إني لأخشاكم للهِ وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلي وأرقُدُ، وأتزوَّجُ النساءَ، فمَن رغِب عن سُنَّتي فليس مني)، وكذلك فقد أجمع العلماء على مشروعيّة النكاح، لمّا فيه من فوائدٍ عظيمةٍ تعود على الفرد والمجتمع، فمن ذلك تحقيق العفّة لكلا الزوجين، وابتعادهما عن الخطأ والحرام، فمن رحمة الله أن شرع الزواج حتّى يقضي المسلم وطره في الطريق الحلال ويترفّع عن الحرام.

صفات الزوج الصالح من الكتاب والسنة: حرِص الإسلام على دوام الألفة والمودّة بين الزوجين في الأسرة، حيث كان ذكر الله -تعالى- وبيّن نبيه الكريم بعض الحقوق والواجبات على كلٍّ من الزوج والزوجة التي تُوصل إلى دوام الاستقرار والسكينة في الحياة الزوجية، ومن يُمعن النظر في

واجبات الزوج المذكورة تجاه زوجته، يستطيع أن يعرف الصفات التي ذكرها القرآن الكريم، والسنّة للزوج الصالح النافع لأهله، وفيما يأتي ذكرٌ لواجبات الزوج على زوجته المذكورة في القرآن، والسنة الشريفة، ومنها[1]:

حُسن معاشرة الزوجة: فعلى الزوج أن يكون حسن العشرة مع زوجته، بأن يُكرمها ويعاملها بالمعروف، وهذا له شأنٌ عظيمٌ في تآليف القلوب والوصول إلى مزيد من الألفة والمودّة، قال الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[2]، ومن المعاشرة بالمعروف كذلك الإحسان إلى الزوجة، والترفّق بها على كلّ حالٍ، والابتعاد عن ظلمها مهما كان الظرف، ولقد جاء الأمر بالإحسان كذلك في السنّة النبوية، فقد أوصى النبي -عليه السلام- بالنساء خيراً في حديثٍ له، وقال في آخرٍ: (خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي)[3].

---

[1] "حقوق الزوجة على زوجها"، www.alukah.net، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠١٨-١١-١٠. بتصرّف.

[2] سورة النساء، آية: ١٩.

[3] رواه ابن جرير الطبري، في مسند عمر، عن عائشة أم المؤمنين، الصفحة أو الرقم: ١/٤٠٨، إسناده صحيح.

الحرص على طاعة الزوجة وإيمانها، فكما أنّ من واجبات الرجل أن يُكرم زوجته ويُحسن عشرتها، فعليه أن يكون منتبهاً حريصاً على دينها وخُلُقها، فينبهها وينصحها إن ظهر منها خطأً يستدعي ذلك، ولقد ورد الأمر بذلك في القرآن بقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)[١].

العدل بين الزوجات إن تعدّدن، فيجب على من عدّد زوجاته من الرجال أن يتحيّن بينهنّ العدل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فإن خشي عدم استطاعته تحقيق العدل بينهنّ فعليه أن يقتصر على واحدةٍ، قال الله تعالى: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) ، وهذا الأمر بالعدل لا يشمل الميل القلبي؛ فإنّ المرء لا يستطيع تحقيق ذلك بالكلّية.

---

١ سورة التحريم، آية: ٦.

غضّ الطرف عن بعض الزلّات، ما لم يكن فيها إتيان مُحرّمٍ، فإنّ من صفات الزوج الصالح ألّا يُؤاخذ زوجته في كلّ ما تقع به من أخطاء، بل عليه أن يوازن بين حسناتها وسيئاتها.

عدم الإيذاء والاعتداء بضربٍ أو تقبيحٍ، فقد نهى النبي -عليه الصلاة والسلام- الزوج المسلم أن يقبّح زوجته، أو أن يشتمها، ويضربها، وحتى الضرب المشروع في الإسلام في حالة النشوز هو ضربٌ غير مبرّحٍ، ويأتي في آخر الحلول بعد الوعظ الحسن، والهجران لأجل التنبيه والتحذير، ثمّ يكون الضرب غير المؤذي، قال ابن عبّاس: (أدباً مثل اللكزة.)

الجلوس مع الزوجة والتحدّث إليها، فإنّ الزوج الصالح مؤنسٌ لزوجته، قريبٌ من أحاديثها وأخبارها، قدوته في ذلك النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الذي ورد عنه أنّه كان يجالس زوجاته، ويستمع إلى أحاديثهن.

عطاء الزوجة الإذن للخروج إن استأذنته، فعلى الزوج إن استأذنته زوجته للخروج في حاجة مشروعة لها، وقد أمن الفتنة عليها فيجب عليه أن يأذن لها في ذلك.

التزيّن للزوجة، فإنّه كما أنّ للزوج الحق على زوجته بالتزيّن له، عليه هو أن يتزيّن ويتجمّل لها أيضاً، حيث قال الله تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[1] .

إعفاف الزوجة، وملاطفتها، وملاعبتها، فالزوج الصالح من يحافظ على زوجته عفيفةً مصونةً عن الرّغبات خارج إطار الزواج الحلال، وذلك بتلبية رغبتها المشروعة، ومراعاة ذلك على الدوام، فذلك من ملاطفتها وملاعبتها أيضاً، فالنبي -عليه السلام- كان يلاعب السيدة عائشة -رضي الله عنها- ويلبّي رغبتها باللهو أيضاً، فروت في ذلك: (كانَ الحَبَشُ يلعبونَ بِحِرابِهِم فَسَتَرَنِي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أنظرُ حتَّى كنْتُ أنا أَنْصَرِفُ، فاقْدُروا قدْرَ الجَارِيَةِ الحديثةِ السِّنَّ تسْمَعُ اللهْوَ)[2].

---

[1] سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

[2] رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن عائشة أم المؤمنين، الصفحة أو الرقم: ٥١٩٠ ، صحيح.

هناك صفاتٌ أخرى مكمّلةٌ للدين والخلق

تأخذها المرأة بعين الاعتبار إن تقدّم من يطلبها من الرجال، من ذلك أن يكون الرّجل من عائلةٍ طيبةٍ متدينةٍ، فإن تقدّم لخطبتها رجلين قد تساوا في الدين، فالأفضل لها أن تختار من اتّصفت عائلته بالدين والخلق كذلك؛ لإنّ صلاح أهل الزوج سيُبنى عليه لاحقاً صلاح الأبناء، وحُسن نسبهم لاتّصالهم بأهل الدين والمعروف، وكذلك يُستحبّ للمرأة أن ترتبط برجلٍ ذي مالٍ يعفّ به أهل بيته، ولا يستوجب ذلك أن يكون الرجل صاحب تجارةٍ كبيرةٍ، أو رأس مال، بل أن يكون صاحب دخلٍ جيّدٍ ينفق منه على أهل بيته، حيث إن تعارض صاحب الدين مع صاحب المال في خطبتهم للفتاة قُدّم صاحب الدين.

صفات الزوج الصالح:

الدين:

يعد الدين أعظم صفة يجب أن تتوافر في الزوج الصالح، حيث يجب أن يكون ملتزماً بشرائع وحدود الدين الإسلامي في كلِّ أمور حياته، وهذه أهم صفة يتوجب أن يبحث عنها ولي الأمر عندما يتقدم شخص لخطبة ابنته، لأن من يضيع حق الله عز وجل قد يضيع حقوق من هم دون ربه، فالزوج صاحب الدين يحافظ على حقوق زوجته ولا يظلمها، فإن أحبها أكرمها وتعامل معها بالحسنى والمعروف، وإن كرهها لم يهنها ولم يظلمها، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتاكم مَن تَرْضون دينَه وخلقَه فأَنْكِحوه، إلا تفعلوه تَكُنْ فتنةٌ في الأرضِ، وفسادٌ كبيرٌ)، قالوا: (يا رسولَ اللهِ، وإن كان فيه ؟!) قال: (إذا جاءَكم مَن تَرْضَوْن دينَه وخلقَه فأَنْكِحوه)– ثلاثَ مراتٍ).

النسب:

يتوجب أن يكون الزوج الصالح من نسب جيد بحيث ينتمي لعائلة يُفتخر بها والتي تتميز بالسمعة الطيبة، كما يفضل أن يكون مماثلاً لزوجته من حيث النسب حتى لا يتأذى من ضعة نسبه بجوارها خاصةً إذا

انحدرت من عائلة ذات أصول رفيعة أو نسب عـال، وقامـت بـالاعتزاز بأصلها أمامه.

حسن الخلق:

تعد صفة حسن الخلق من أهم الصفات التي يتوجب أن تركز عليها المرأة وولي أمرها لاختيار الزوج الصالح لأن هذه الصفة تدل عـلى كـمال الإيمان لديه، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَكْمَلُ المؤمنينَ إيمانًا ، أحسنُهُم خُلُقًا ، وخيارُهُم خيارُهُم لنسائِهِم)، فإذا كان الزوج يتسم بالخلق الحسن فإنه لن يهين كرامة زوجته، ولن يسمعها لفظاً يؤذيها، ولـن يجرح كبرياءها، وسيبتسم في وجهها، ويفرح لحسن تصرفها، ويغفر زلاتها ويصبر عليها.

صفات أخرى للزوج الصالح هناك صفات أخرى يتميز بها الـزوج الصالح، ومن أبرزها:

-امتلاك المال الكافي ليعف به نفسه وأهل بيته ليغنيهم عن الناس.

-الاتسام باللطف والرقة في التعامل مع الزوجة.

-سلامة البدن والخلو من الأمراض والعيوب.

-ملم بالكتاب والسنة النبوية المطهرة.

خامسا: المسلم مع أولاده.

أولى الإسلام عناية كبيرة لتربية الأولاد، وجعلها مسؤولية يحاسب عليها العبد يوم القيامة، وتتجلى هذ المسؤولية في النقاط التإلىة:

المسلم يدرك مسؤوليته الكبرى إزاء أولاده: فقد جعل الإسلامُ الأبَ مسؤولاً مسؤولية تامة عن أبنائه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} مسؤول عن تربيتهم التربية الإسلامية وتنشئتهم التنشئة الصالحة، القائمة على مكارم الأخلاق «إنما بُعثت لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق» .

والأب مسؤول عن دين أبنائه بأمرهم بالصلاة «وهم أبناء سبع» وضربهم على التفريط فيها «وهم أبناء عشر»

يستخدم في تربيتهم أبرع الأساليب: الوالدُ الحصيفُ يُدرك نفسية ابنه فيُحْسِن التأتي إليها، ويتوغل في عالمه البريء، فيدنو منهم ويراعي مستواهم العقلي والعمري، فيلاعبهم ويمازحهم، ويسمعهم من المدح ما تبتهج به نفوسهم، فيُحبونه ويُقبلون على سماع توجيهه بلهفة وصدق، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلاعب الحسن والحسين، ويحملهما.

يشعرهم بحبه وحنانه: فمن واجبات الأب أن يشعر أبناءه بالحب والحنان والعطف والرحمة، فهي أخلاق إسلامية أصيلة، ومن أبرز أخلاق

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فكـان يـداعب الأطفـال ويقـبلهم ويحملهم ويحضنهم، ولما استنكر الأعرابي هذا منه وأخبر أنه لا يفعله قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أوَ أملك أن نزع الله الرحمة من قلبـك» فهـذا هدي النبي الذي يسير عليه المؤمن ولا يملك أن يتنكب عنه.

ينفق عليهم بسخاء وطيب نفس: لا يكتفي الإسلام بعاطفة الوالدين الفطرية وحنانهما، بل رَفَدَ هذه العاطفة بالثواب العظيم، وجعل نفقة الرجل على أهله من أعظم الصدقات «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه عـلى عياله»[١] وجعل الإسلام من أعظم الإثم تضييع العيال «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»[٢].

---

١ أخرجه البخاري، كتاب النفقات، باب وعلى الوارث مثل ذلك البقرة: ٢٣٣ وهل على المرأة منه شيء (٧/ ٦٦)، رقم: (٥٣٦٩)، ومسلم، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين (٢/ ٦٩٥)، رقم: (١٠٠١).

٢ الإمام أحمد في مسنده(٢/ ١٦٠)،(٢/ ١٩٣)،(٢/ ١٩٤)، (٢/ ١٩٥)، وأبو داود في كتاب الزكاة، باب: في صلة الرحم(١/ ٥٢٩برقم:١٦٩٢)، وابن حبان(١٠/ ١٥)، والحاكم في المستدرك(١/ ٥٧٥)، والطيالسي في مسنده(١/ ٣٠١)، والطبراني في الأوسط(٤٣٥٤)،(٥١٥٥)

لا يفرق في عطفه ونفقته بين البنين والبنات: قد يضيق بعض النـاس ذرعاً بالبنات ويتمنى أن يرزق الذكور فقط، وما يدري عظيم الثواب الذي ينتظر أبا البنات الكافل لهن الرحيم بهن، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن مـن جِدَته كُنَّ له حجاباً من النار يوم القيامة»[١].

مفتَّح العينين على كل ما يؤثر في تكوينهم وتوجيههم :فيعرف الأب ما يقرؤون ويكتبون، وهواياتهم ورفاقهم الذين يلازمونهم، والأماكن التي يرتادونها، يعرف هذا كله من حيث لا يشعرون، فإذا وجد انحرافاً أو تعلقاً برفيق سوء أو اعتياداً على ألعاب ضارة أو اعتياداً على عادات ضارة ردهم إلى الجادة برفق وحكمة وحزم، وسددهم إلى الصواب بإقناع.

فالأسر التي تشعر بمسؤوليتها إزاء أولادها تنجح في تربيتهم، والتي لا تشعر بهذا تهملهم فيكونون وبالاً على عوائلهم كما قال تعالى :{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}[٢].

---

١ أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين من حديث عقبة بن عامر الجهني، برقم ٦١٧٦٢، وابن ماجه في كتاب الآداب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات، برقم ٣٦٥٩.

٢ [التغابن: ١٤]

يسوي بينهم: يعدل بين أبنائه في الهبة والنفقة والمعاملة، فلا يشعرون بالنقص ولا الغيرة والحسد، بل يشيع في نفوسهم الرضا والتسامح، أعطى البشير ولده النعمان غلاماً له، وأراد أن يشهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله» :أَكُلَّ ولدك نحلته مثل هذا؟ »قال: لا، قال» :فلا تشهدني إذن فإني لا أشهد على جور»[١]، وقال :«اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»[٢].

يغرس فيهم الأخلاق العإلية: من حب الآخرين والعطف على الضعفاء وصلة الأرحام واحترام الكبير ورحمة الصغير، مستخدماً الأسإليب التربوية الحكيمة، مع النصح والتسديد والإرشاد، في لين من غير ضعف، وشدة من غير عنف، فيصبحون أوفياء صالحين أسوياء الشخصية مفتحي الأذهان قادرين على العطاء، وهذا بدهي في كل أسرة تربت على مبادئ الإسلام وتأدبت بأدبه {صِبْغَةَ اللهِّ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِّ صِبْغَةً}[٣].

---

[١] باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ١٦٢٣.

[٢] رواه البخاري في (الهبة وفضلها)، باب (الإشهاد في الهبة)، برقم: ٢٥٨٧، ومسلم في (الهبات)، باب (كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة)، برقم: ١٦٢٣.

[٣] سورة البقرة (١٣٨).

سادسا: المسلم مع أقربائه وذوي رحمه.

[الأرحام]:

لا يقتصر بر المسلم على والديه وزوجه وأولاده، بل يتعداهم إلى أقاربه وذوي رحمه، فيشمل هؤلاء جميعا ببره وإحسانه وحسن صلته. والأرحام: هم الأقارب الذين يرتبطون مع الإنسان بنسب، سواء أكانوا يرثونه أم لا يرثونه.

ذلك أن الإسلام حفي بالرحم حفاوة ما عرفتها الإنسانية في غيره من الأديان والنظم والشرائع، فأوصى بها، وركب في صلتها، وتوعد من قطعها.

وليس أدل على حفاوة الإسلام البالغة بالرحم من تلك الصورة الرائعة التي رسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للرحم، تقوم بين يدي الله في الساحة الكبيرة التي خلق الله فيها الخلق، فتستعيذ به من قطيعتها، ويجيبها الله عز وجل إلى سؤلها، فيصل من وصلها، ويقطع من قطعها.

وذلك في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة، قال :قال رسول – صلى الله عليه وسلم :

((إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك،)) ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((اقرأوا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ)[1].

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم تترى مؤكدة منزلة الرحم في الإسلام، حاضة على الإحسان إليها، وإرهاف المشاعر للإحساس بوشائجها وأداء حقوقها، وتوقي هضم تلك الحقوق أو خدشها أومسها بظلم أو أذى، محذرة من الإساءه إليها. ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ}[2].

ومن هنا تأتي مرتبة ذوي القربى في البر بعد الوالدين، كما حددها التوجيه القرآنى الحكيم، متدرجا من الأعلى إلى الأدنى في سلم العلاقات

---

١ محمد: ٢٣.

٢ النساء: ٣.

الإنسانية، ثم يمتد البر من ذوي القرابة ويتسع نطاقه، وينسحب خيره على المحتاجين جميعا في الأسرة الإنسانية الكبيرة، وهذا ما يوائم طبيعة النفس البشرية التي هي أميل إلى البدء ببر الأقربين، ويلائم منهج الإسلام العام في تنظيم المجتمع الإسلامي، إذ جعل التكافل الاجتماعي يبدأ من محيط الأسرة، ثم يمتد إلى دائرة الأقربين، ثم ينساح في محيط الجماعة، في سهولة ويسر، وفي تراحم ورضا وود، يجعل الحياة حلوة جميلة شائقة لائقة ببني الإنسان.

وصلة الرحم من المبادئ الإسلامية الأولى، والأصول الكبرى التي طلع بها هذا الدين على الدنيا منذ إلىوم الأول الذي صدع فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالدعوة، مبينا أسسها، موضحا معالمها؛ فهي إذا من أبرز المعالم وأوضحها في شريعة هذا الدين، يشهد لذلك حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل، إذ سأل أبا سفيان: فماذا يأمركم به نبيكم؟ فأجابه: يقول: ((اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة))

فقد جاءت صلة الرحم في عداد المعالم الكبرى لهذا الدين الحنيف، من توحيد لله، وإقامة للصلاة، والتمسك بالصدق والعفاف. ومن هنا كانت

صلة الرحم من أبرز مميزات هذا الدين التي تعرض على أسماع السائلين عنه لأول مرة.

يصل أرحامه ولو كانوا غير مسلمين ويسمو الإسلام في سماحته وإنسانيته، إذ يوصي بصلة الرحم ولو كان الأرحام من غير المسلمين، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – جهارا غير سر يقول:

((إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها))

ولما نزل قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} ، دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قريشا، فاجتمعوا، فعم وخص، وقال: ((يا بني عبد شمس، يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها))

إن ندى العاطفة الإنسانية لا ينقطع من قلب المسلم، بل يتسرب منه إلى ذوي القربى بلة من ري البر والعطف، ولو كانوا على غير دين الإسلام،

ومن هنا كان تعبير الرسول الكريم: ((غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها)) من درر البلاغة العربية؛ إذ شبه الرحم بالأرض تندى بالصلة فتثمر المحبة والصفاء، وتجف بالقطيعة فتنبت البغضاء والجفاء، والمسلم الحق آلف مألوف، يحبه الناس جميعا، إذ يرون فيه مكارم الأخلاق مجسدة حية ناطقه.

يفهم صلة الرحم بمعناها الواسع وصلة الرحم عند المسلم الحق الواعي هدي دينه لا تكون ببذل المال فحسب، بل هي أعم من ذلك وأوسع، إنها تكون ببذل المال للعفاة من ذوي القربى، وتكون بالزيارة التي توطد أواصر القرابة، وتوثق وشائج المحبة، وتمد في التواد والتراحم، وتكون بالتناصح كالعون والإيثار والإنصاف، وتكون بالكلمة الطيبة، والوجه الطلق، واللقاء الحسن، والابتسامة الودود، وتكون في غير ذلك من أعمال الخير التي تفجر ينابيع الحب في القلوب، وتبسط رواق الألفة والتراحم والتكافل على ذوي الرحم والقرابة، ولهذا جاء التوجيه النبوي العإلى حاضا على هذه الصلة في أبسط أشكالها وأقلها كلفة ومؤونة بقوله:

((بلوا أرحامكم ولو بالإسلام))[١]

---

[١] رواه البزار عن ابن عباس، وطرقه يقوي بعضها بعضا.

يصل رحمه ولو لم يصلوه والمسلم الحق يصل ذوي رحمه، ولو لم يصلوه؛ ذلك أن واصل الرحم المبتغي بصلته هذه رضوان الله عز وجل، والتخلق بالخلق الإسلامي السامي لا ينتظر على صلته هذه أن يكافأ بمثل فعله، فهو واصل دوما لرحمه وذوي قرابته، وصلوه أم لم يصلوه، ضاربا بخلقه الإسلامي الإنساني الرفيع المثل الأعلى على صياغة الإسلام للإنسان، صياغة تجعله إنسانا راقيا ساميا، في تعامله مع أقربائه وذوي رحمه في جميع الأحوال. وقد أكد الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا المعنى في المسلم الحق الصادق إذ قال: ((ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها))

وجاء الهدي النبوي الكريم يعزز خلق الحلم والصبر والعفو والسماحة في نفس واصل الرحم الذي يصل قرابته، فلا يقابلونه إلا بالقطيعة والجفاء والإساءة، إذ قرر أن الله مع من يصل الرحم فلا يجازى على صلته بمثلها، ورسم صورة مخيفة للإثم الذي يلحق الجفاة المنكرين للمعروف المقطعين للأرحام، فقد جاء رجل إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال:

((لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك))

أرأيت إلى واصل الرحم الصابر على جفاء وقطيعة ذوي قرباه كيف أمده الله بظهير من عنده يعينه عليهم، ويملأ قلبه بالصبر على أذاهم، ويثبته على الاستمرار في خلقه الإنساني النبيل؟ وكيف شبه الرسول الكريم ما يلحق أولئك العتاة الجفاة المسيئين من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، جزاء ما اقترفوه في حق هذا المحسن الكريم الودود من تقصير وإساءة وجفاء؟

من هنا كان المسلم الحق واصلا رحمه على كل حال، متطلعا دوما إلى مرضاة ربه في هذه الصلة، مترفعا أبدا عن الجهالات والحماقات والإساءات، تبدر بين الحين والحين من ذوي قرابته، معرضا عن الصغائر والتفاهات التي تشغل الصغار من الناس، وتوغر منهم الصدور. فالمسلم التقي الواعي أكبر من أن يصغي لهذه الجهالات والحماقات والصغائر والتفاهات، فتؤثر على علاقاته بذوي رحمه وبره بهم، وهو يسمع قول الرسول الكريم:

((الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)) .

سابعا: المسلم مع جيرانه

أحسن الناس معاملة لجيرانه المسلم الحصيف الواعي أحكام دينه أحسن الناس معاملة لجيرانه، وأكثرهم برا بهم، وحدبا عليهم.

وعيه هدي الإسلام في الإحسان إلى الجار

ذلك أنه يعي هدي الإسلام الثر وتوصياته الغنية بالجار، والمكانة الرفيعة التي أحله إياها في سلم العلاقات البشرية، وإنها لمكانة ما عرفتها قبل هذا الدين شريعة، ولا داناها بعدة نظام.

فقد أمر الله تعالى في محكم كتابه بالإحسان إلى الجار، فقال:

{وَاعْبُدُوا اللهَّ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَإلىتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ... }[١].

والجار ذو القربى هو الذي تجمعك به مع الجوار آصرة النسب أو الدين، والجار الجنب هو الذي لا تجمعك به صلة من نسب أو دين، والصاحب بالجنب هو الرفيق في أمر حسن.

---

١ النساء: ٣٦.

فكل من جاورك في السكن له عليك حق الجوار، ولو لم يكن بينك وبينه وشيجة من نسب، أو رابطة من دين. وفي هذا تكريم للجار أي تكريم في شرعة الإسلام الإنسانية السمحة الغراء.

ومن هنا كانت أحاديث الرسول الكريم تترى موصية بالجار على وجه العموم، غير ناظرة إلى قرابته أو دينه، مؤكدة أهمية علاقة الجوار في الإسلام، ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم-:

((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))[١].

إنها للمنزلة الكريمة العإلىة، يمنحها الإسلام للجار على لسان الروح الأمين جبريل، الذي ما فتئ يؤصلها ويؤكدها للرسول الكريم حتى حسب أنها سترفعه إلى درجة القرابة، فتجعله وارثا مثلهم.

وقد لهج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إزاء توصية جبريل، بالحض على إكرام الجار والإحسان إلىه، حتى إنه لم يخل خطبته التاريخية في حجة الوداع التي اعتصر فيها أهم ما ينبغي قوله للمسلمين من أن يجعل للجار فيها حيزا كبيرا، لفت نظر الصحابى الجليل أبي أمامة، حتى ظن أيضا أن الرسول الكريم سيورثه، وذلك في قوله:

---

[١] رواه الطبراني بإسناد جيد.

((سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو على ناقته الجدعاء في حجة الوداع يقول: أوصيكم بالجار حتى أكثر، فقلت: إنه يورثه)).

وتبلغ وصية الرسول الكريم بالجار حدا من الأهمية والخطورة، يجعل الإحسان إلى ه، والتنزه عن أذاه، علامة من علامات الإيمان بالله وإلى وم الآخر، ونتيجة حتمية من نتائجه الحسان، وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم -:

((من كان يؤمن بالله وإلى وم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله وإلى وم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله وإلى وم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت))[١].

وفي رواية للبخاري: ((من كان يؤمن بالله وإلى وم الآخر فلا يؤذي جاره ...))[٢].

المسلم الحق سمح مع جاره فلا بدع أن يكون المسلم الحق المستنير قلبه وعقله بهدي هذا الدين سمحا مع جاره، موطأ الكنف، حسن العشرة،

---

١ متفق عليه.

٢ متفق عليه.

لطيف المعاملة، لا يمنعه من الاستفادة من بيته إن احتاج إلى شيء من ذلك، مستهديا بهدي الرسول الكريم القائل:

((لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره))[١]

المسلم الصادق لا يحتمل وجدانه المرهف أن يكون جاره في ضيق وهو في بحبوحة من العيش، منعم، مرفه. وكيف يحتمل وجدانه الذي أرهفه الإسلام هذه المفارقة بينه وبين جاره، وهو يسمع قول الرسول الكريم:

((ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم))[٢].

وقوله: ((ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع))[٣].

شقاء الإنسانية بسبب غياب المسلم وأخلاقه

من هنا ندرك أن الشقاء الذي حاق بالإنسانية في كل مكان، إنما كان بسبب غياب المسلم الحق عن مسرح الحياة الموجهة، وتواري مبادئ الإسلام الإنسانية العادلة خلف ركام المبادئ الوضعية المتخلفة، التي لم تجن منها الإنسانية سوى البؤس والفاقة والاستغلال والجوع والعري في عصر

---

١ متفق عليه.

٢ رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن.

٣ رواه الطبراني وأبو يعلى، ورجاله ثقات.

الفضاء، عصر الصواريخ والأقمار الصناعية وصعود الإنسان إلى القمر؛ فلقد أعلنت منظمة الأغذية والزراعة العالمية التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٧٥ أن هناك ما بين عشرين إلى مئة مليون شخص في إفريقيا وآسيا يواجهون احتمال الموت جوعا خلال السنوات القليلة القادمة، وأن الوضع إذا استمر على ما هو عليه فإنه يهدد بموت ثلاثة ملايين نسمة كل أسبوع جوعا، وأن هناك ما بين ٤٦٠ مليونا وألف مليون شخص يعانون سوء التغذية وتناقلت وكالات الأنباء في العام نفسه قصة، مفادها أن فتاة أوروبية تطوعت للعمل ممرضة في إحدى المناطق الأفريقية التي يعاني سكانها سوء التغذية المزمنة، وكانت النتيجة أنها أصيبت بحالة انهيار عصبي شديد كاد يودي بها إلى الجنون المطبق، وذلك بعد أن شاهدت صراعا داميا بين بعض الأطفال الأفريقيين الذين دفعهم الجوع إلى الاقتتال الوحشي من أجل الفوز بقطعة من ثمر "المانجو"، ولم يتوقف القتال إلا بعد أن فقأ أحد الأطفال عين زميله، ولم يكن أكبر المقاتلين سنا يتجاوز الثامنة من عمره. وكم سبب هذا الجوع العمى الكامل بسبب افتقار الجسم الدائم إلى الفيتامينات، وأضوى أجسام الأطفال، فاستحالت إلى هياكل عظمية، وفقدت مناعتها من الأمراض، وأصبحت بين فكي الموت!

المسلم الحق خير جار والإحسان إلى الجار شعور أصيل عميق في وجدان المسلم الصادق، وصفة مميزة له عند الله والناس؛ ذلك أن المسلم الحق الواعي الذي رضع لبان الإسلام، وخالطت قلبه بشاشة تعإلىمه السمحة، لا يستطيع إلا أن يكون خير صاحب في الأصحاب، وخير جار في الجيران، وهو من عناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله:

((خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيراني عند الله خيرهم لجاره))[1].

ومن هنا جعل الإسلام من سعادة المرء المسلم الجار الصالح؛ فجواره قرة عين لجاره، ومبعث سعادة وهناءة وارتياح وأمن وطمأنينة، وحسب الجار الصالح تكريما ورفعة أن يجعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ركنا من أركان السعادة في حياة المسلم فيقول:

((من سعادة المرء المسلم في الدنيا الجار الصالح، والمنزل الواسع والمركب الهنيء))

ولقد بلغ من تقدير السلف للجار الصالح أنهم كانوا يعدون جواره نعمة لا تقدر بمال، وغنيمة لا يعدلها عرض من أعراض الدنيا. ومما يروى

---

[1] رواه الترمذي بإسناد صحيح.

في ذلك أن جار سعيد بن العاص ساوم على مئة ألف درهم في داره، ثم قال للمشتري: هذا ثمن الدار، وبكم تشتري جوار سعيد؟ فلما علم سعيد بذلك بعث إليه بالثمن واستبقاه في داره.

هذه هي منزلة الجار في الإسلام، وهذه هي خلائق الجار المسلم الصالح، وهذه هي صفحته المشرقة الغراء، فما هي صفحة جار السوء؟

جار السوء وصفحته السوداء

إنها لصفحة قاتمة كابية كالحة معتمة، لا يستطيع الوجدان المسلم المرهف أن يتملاها دون أن يهتز فرقا، ويمتلئ هلعا ورعبا وكراهية لجار السوء.

جار السوء إنسان عري من نعمة الإيمان

إنه إنسان عري من نعمة الإيمان، أكبر نعم الخالق على خلقه، ورأس كل فضيلة في هذه الحياة، وقد أكد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انسلاخ هذه النعمة عن جار السوء تأكيدا لا هوادة فيه ولا تساهل ولا لين فقال: ((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن))، قيل: من يا رسول الله؟ قال: ((الذي لا يأمن جاره بوائقه)).

لا يقابل إساءة جاره بمثلها لقد كان من هدي هذا الدين الذي بسطه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للصحابة ألا يقابل الجار جاره بالسوء

بل يصبر على أذاه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، عسى أن يرعوي من نفسه، ويكف عن الأذى، حين يرى جاره لا يقابل سيئته بمثلها، بل يتجمل بالصبر والحلم والأناة، وهذا لعمري من أسمى الأخلاق وأنبلها، وأبرع الأسإلىب النفسية التربوية في اقتلاع جذور السوء من بعض النفوس.

أتى محمد بن عبد الله بن سلام رضي الله عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: آذاني جاري، فقال: ((اصبر))، ثم عاد إلىه الثانية، فقال: آذاني جاري، فقال: ((اصبر))، ثم عاد الثالثة، فقال: آذاني جاري، فقال: ((اعمد إلى متاعك فاقذفه في السكة، فإذا أتى عليك آت، فقل: آذاني جاري، فتحقق عليه اللعنة، من كان يؤمن بالله وإلىوم الآخر فليكرم جاره ....))[1]

---

١ حياة الصحابة ٣/ ٥٠.

ثامنا: المسلم مع إخوانه وأصدقائه

يحبهم في الله إن من أبرز صفات المسلم الصادق حبه لإخوانه وأصدقائه حبا ساميا، مجردا عن كل منفعة، بريئا من أي غرض، نقيا من كل شائبة، إنه الحب الأخوي الصادق، الذي استمد صفاءه وشفافيته من مشكاة الوحي وهدي النبوة، فكان نسيج وحده في العلاقات البشرية، وكانت آثاره في سلوك الإنسان المسلم فريدة في تاريخ المعاملات.

ذلك أن الرابطة التي تربط المسلم بأخيه مهما كان جنسه ولونه ولغته، هي رابطة الإيمان بالله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[1] ، وأخوة الإيمان أوثق روابط النفوس، وأمتن عرى القلوب، وأسمى صلات العقول والأرواح.

فلا عجب أن تثمر تلك الأخوة الفريدة نمطا من الحب عجيبا في سموه

ونقائه وعمقه وديمومته، يسميه الإسلام الحب في الله، ويجد المسلم الصادق فيه حلاوة الإيمان.

---

[1] الحجرات: ١٠.

((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إلىه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذة الله منه كما يكره أن يقذف في النار))[١]

مقام المتحابين في الله: ولقد جاءت الأحاديث الشريفة تترى، ترفع من مقام المتحابين في الله، وتصور منزلتهم العإلىة التي أعدها الله لهم في جنته، والشرف الرفيع الذي يسبغه الله عليهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

من هذه الأحاديث حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله، وهم:

((إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خإلىا ففاضت عيناه))[٢].

١ متفق عليه.

٢ متفق عليه.

فهذا نص صريح يسلك المتحابين في الله في زمرة السبعة المصطفين الأخيار، الذين أظلهم الله في ظله، وشملهم برحمته وبره، وفي ذلك تكريم لهم أي تكريم!

وحسب المتحابين في الله شرفا أن رب العزة يحفل بهم في ساحة الحشر يوم القيامة، فيقول:

((أين المتحابون بجلإلى؟ إلىوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))[١].

فما أرفعه من شرف! وما أوفاه من جزاء! يلقاه المتحابون الصادقون في الله، يوم الشدة والهول والكرب الشديد.

تأثير الحب في الله في حياة المسلمين ويؤكد الرسول الكريم في حديث آخر أن هذه المحبة بين المؤمنين شرط من شروط الإيمان الذي يدخل صاحبه الجنة، وذلك فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

((والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[١]

---

١ رواه مسلم.

لقد أدرك النبي الكريم بثاقب نظرته التربوية التي استقاها من تأديب الله إياه، أنه لا يستل سخائم الحقد من الصدور، ولا ينتزع أدران التنافس والحسد من النفوس، إلا أخوة صادقة ع إلى ة، تسود حياة المسلمين، وتقوم على المحبة، والتواد، والتناصح، والألفة، والبشر، وينتفي منها الكيد والغل والحسد والتجهم والتباغض، ولذلك دعا إلى إفشاء السلام بين الإخـوة، ليكون مفتاح القلوب للمحبة والتلاقي على الخير.

سمح عفو عنهم والمسلم الحق إذا مسه الغيظ من أخيه كظم غيظه، ثم هو لا يأنف أن يسارع إلى العفو عنه، والتغـاضي عـن زلتـه، ولا يـرى في صفحه عن أخيه ذلا يحيق به، ولا عارا يلبسه، بل يرى فيه إحسانا يقربه من الله زلفى، ويكسبه محبته التـي خـص بهـا المحسـنين مـن عبـاده في قولـه: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[٢]

إن الإنسان قد يكظم غيظه، ولكن مراجل الحقد والضغينة تفـور في صدره، فيتحول غيظه الفائر إلى إحنة متأججة، ويستحيل غضبه الظاهر إلى حقد دفين. والغضب والغيظ أطهر وأنظف من الحقد والضغينة.

---

١ رواه مسلم.

٢ آل عمران: ١٣٤.

أما المسلم الحق الذي أشربت نفسه هدي هذا الدين فلا يحقد ولا يضطغن، إنه إن كظم غيظه، اتبع ذلك بالصفح والعفو، وكان من المحسنين.

إن الغيظ وقر ثقيل على النفس حين تكظمه، وشواظ يلفح القلب ودخان. أما حين تصفح النفس، ويعفو القلب، فهو الانطلاق من ذلك الوقر والرفرفة في آفاق النور، والبرد على القلب، والسلام في الضمير، وهذا هو الشعور بالإحسان، يحسه المسلم، وهو يصفح ويعفو عن أخيه.

والمسلم الحق في إقباله على أخيه صفوحا عفوا، إنما يتواضع لأخيه ويعفو عنه لله، مبتغيا من لدنه العزة والرفعة التي ألمع إليهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله:

((ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))[١].

وإنهما لعزة ورفعة من الله، يجتمعان إلى الإحسان الذي اتصف به المسلم السمح العفو الصفوح، فإذا هو من المحسنين الذي أحبهم الله، ومن الأعزة الأماثل الذين يحبهم الناس.

١ رواه مسلم

لا يغتابهم والمسلم الحق الصادق يحفظ غيبة إخوانه وأصدقائه، فلا يغتابهم؛ لأنه يعلم أن الغيبة حرام بنص القرآن الكريم:

{وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.

إن نفس المسلم المرهفة المتأدبة بأدب الإسلام، المرتشفة من رحيق أخلاقه، لتقشعر من هذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم للمغتاب، يأكل لحم أخيه ميتا، بكلمات يتفوه بها عنه في غيابه، فإذا هو يسارع إلى التقوى التي ذيل الله بها آية الغيبة، ويلوذ بالتوبة النصوح منها إن تورط فيها، ويمسك عليه لسانه، فلا يطلقه على إخوانه إلا بخير، ذاكرا قول الرسول الكريم:

((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته))[١]

إن المسلم التقى يجتنب الغيبة الظاهرة والخفية، حرصا منه على ألا يكون آكلا لحم أخيه بحال، وتنزيها للسانه أن يكبه في النار، كما جاء في

---

١ رواه مسلم.

تحذير النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ حين أخذ بلسانه وقال: ((كف عليك هذا))، فقال معاذ: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ((ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟))[١].

إن الغيبه خلق ذميم، لا يتصف به الرجال، وإنما يتصف به أشباه الرجال الجبناء من ذوي الوجهين الذين يغتابون إخوانهم وأصدقاءهم أمام الناس، فإذا لقوهم هشوا لهم وبشوا وتظاهروا بالصداقة والود، ومن هنا كان المسلم الحق أبعد الناس عن الغيبة والتلون بلونين، لأن الإسلام علمه الرجولة، ولقنه الاستقامة، وحبب إليه التقوى في القول والعمل، وكره إليه النفاق والتلون والتذبذب، بل نفره من هذه الخصال تنفيرا، حين جعل ذا الوجهين من شرار الناس عند الله، وذلك في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -

((تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه))[٢].

---

١ حديث حسن صحيح، رواه ابن ماجه.

٢ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

إن للمسلم الحق وجها واحدا، لا وجهين، وإنه لوجه أغر أبلج مشرق واضح، لا يلقى به قوما دون قوم، بل يلقى به الناس جميعا، لأنه يعلـم أن اتخاذ الوجهين هو النفاق بعينه، والإسـلام والنفـاق لا يجتمعـان، وأن ذا الوجهين منافق، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار.

أخيرا: المسلم مع مجتمعه

تمهيد:

المسلم الواعي أحكام دينه اجتماعي بطبعه، لأنه صاحب رسالة في الحياة، وأصحاب الرسالات لا بد لهم من الاتصال بالناس، يخالطونهم، ويعاملونهم، ويبادلونهم الأخذ والعطاء.

والإنسان المسلم اجتماعي من الطراز الرفيع، بما لقن من أحكام دينه الحق، وبما تمثل من أخلاقه الإنسانية الرفيعة النبيلة التي دعا إلىها، وحض على التخلق بها في مجال التعامل الاجتماعي.

وشخصية المسلم الاجتماعية التي استنارت بهدي القرآن الكريم، وارتوت من منهل السنة النبوية المطهرة، شخصية فريدة، لا تقاس بالشخصية الاجتماعية التي ربتها النظم الوضعية المعاصرة، ولا الشرائع القديمة التي تعب في صياغتها الفلاسفة والمفكرون.

إنها شخصية اجتماعية راقية، كونتها مجموعة كبيرة جدا من مكارم الأخلاق، نطقت بها نصوص هذا الدين الحنيف من قرآن كريم وحديث شريف، وجعلت التخلق بها دينا يثاب المرء عليه، ويحاسب على تركه،

فاستطاعت بذلك أن تجعل من شخصية المسلم الصادق نموذجا فذا للإنسان الاجتماعي الراقي المهذب التقى الخير النظيف.

صادق فهو صادق مع الناس جميعا، لأن هدي الإسلام الذي تغلغل في كيانه علمه أن الصدق رأس الفضائل، وأس مكارم الأخلاق، وهو بالتإلى يهدي إلى البر المفضي بصاحبه إلى الجنة، في حين يهدي الكذب إلى الفجور المفضي بصاحبه إلى النار، كما أخبر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله:

((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا))[١].

ومن هنا كان المسلم الحق صديقا، يتحرى الصدق في أقواله وأفعاله، وإنها لمرتبة عإلىة كريمة، أن يكتب الإنسان عند ربه صديقا.

---

[١] متفق عليه.

موف بالعهد

والمسلم الحق الذي ارتوت نفسه من هـدي الإسـلام، يـتحلى أيضـا بالخلق الإيجابي المحبب، خلق الوفاء بالعهد، وإنجاز الوعد .ولا نغإلى إذا قلنا :إن هذا الخلق من أهم عوامل نجاح الإنسـان في مجتمعـه، ومـن أدل الخلائق على رقة الإنسان وسمو منزلته ورفعة مستواه الاجتماعي.

والمسلم من هذا النمط الراقي من النـاس المـوفين بالعهـد، بـل هـو أرقاهم على الإطلاق حين يكون مسلما حقا، لأن خلق الوفاء بالعهـد مـن آصل الأخلاق الإسلامية، ومن أكثرها دلالـة عـلى صـحة إيـمان المسـلم وحسن إسلامه، وقد جاءت بذلك الآيات والأحاديث الكثيرة، تحض على التحلي بهذا الخلق وتشير إلى أنه من علامات الإيمان، وتهدد المتحللين منه، وتؤكد أنه من علامات النفاق:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[١] .

{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}[٢] .

---

١ المائدة: ١.

٢ الإسراء: ٣٤.

فليس العهد كلمة طائرة يلقيها صاحبها، ولا يفي بالتزاماتها كما يفعل كثير من المسلمين إلىوم، وإنما هي مسؤولية سيناقش عليها الحساب.

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِّ إِذَا عَاهَدْتُمْ}١

إنه عهد الله، أضيف إلىه، فاكتسب الجلالـة والقدسـية والاحـترام، ووجب الوفاء به، مهما تكن الظروف:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًـا عِنْـدَ اللهِّ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}٢.

فالإخلاف بالوعد، والتحلل من العهد، من المقت السيء الكبير الذي يكرهه الله لعباده المؤمنين، ولا يريد لهـم أن يسـفوا إلىه، ولا يخفـى مـا في الاستفهام في صدر الآية من إنكار يخزى منه المؤمن الوفي، ويندى له جبينه حياء من ربه.

ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –:

((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلـف، وإذا اؤتمـن خان))١. وفي رواية لمسلم: ((وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم)).

---

١ النحل:٩١.

٢ الصف:٢.

إن حسن إسلام المرء لا تؤكده العبادات التي يقوم بها من صيام وصلاة وحج فحسب، كما أسلفت، وإنما تؤكده نفسية الإنسان التي انفعلت بتعإلىم الإسلام، وارتشفت من رحيق هداه، حتى غدت تنضح بشذا أخلاقه العإلىة، وقيمه الرفيعة، وأحكامه السمحة، فتراها وقافة عند حدود الله، ملتزمة أمره، مجتنبة نهيه، منصاعة لهداه في كل شيء.

ومن هنا ينتفي من حياة المسلم الحق الصادق الكذب والإخلاف بالوعد وخيانة العهود والمواثيق، لأنها منافية لخلق الإسلام، ولا توجد إلا في أخلاق المنافقين.

ألا فليعلم تلك الحقيقة المرة كثير من التجار والصناع والموظفين، الذين يعدون الناس بإنجاز أعمالهم في وقت محدد، ثم يخلفون المواعيد، وليعلمها أولئك الذين يتعاهدون على أمر، ثم ينقضون ما تعاهدوا عليه، وكذلك الذين يؤتمنون على مال أو سر أو ورثة أو غير ذلك، ثم يخونون الأمانة. ليعلم هؤلاء جميعا أنهم في زمرة المنافقين، ولو صاموا وصلوا وزعموا أنهم مسلمون، وإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

---

١ متفق عليه.

متصف بالحياء

فالمسلم الحق يتصف بالحياء تأسيا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كان المثل الأعلى في الحياء، يشهد لذلك قول الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه))[١].

والحياء- كما عرفه العلماء- خلق نبيل يبعث دوما على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق أصحاب الحقوق، ومن هنا أشاد به الهدي النبوي في عدد من الأحاديث الشريفة، وعده خيرا محضا على صاحبه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

((الحياء لا يأتي إلا بخير))[٢]. وفي رواية لمسلم: ((الحياء خير كله. أو قال: الحياء كله خير)).

---

١ متفق عليه.

٢ متفق عليه.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))[١].

إن المسلم الصادق التقي حيي مهذب ذمث مرهف الشعور، لا يصدر عنه فعل قبيح يؤذي الناس، ولا يقصر في حق أحد ذي حق- ذلك أن خلق الحياء فيه يحجبه عن ذلك كله، ويذوده عن الوقوع فيه، لا حياء وخجلا من الناس فحسب، وإنما حياء من الله تعاله، وتحرجا أن يلبس إيمانه بظلم، إذ الحياء شعبة من شعب الإيمان. وهذا أرقى ما وصل إلىه الإنسان من تخلق بالحياء.

إن ربط البواعث الخلقية بالإيمان بالله وإلىوم الآخر، يميز الإنسان المسلم عن غيره بالإخلاص العميق في الأخلاق التي يتصف بها، وبثبات هذه الأخلاق وديمومتها فيه، مهما تقلبت الأيام به وتغيرت الأحوال؛ ذلك أنها صادرة عن وجدان حي مرهف يستحيي من مقارفة الخيانة، وحياؤه من الله المطلع على الخبيء من أسراره، قبل حيائه من الناس المطلعين على الظاهر

---

١ متفق عليه.

من أخباره، وهذا الحياء من الله هـو مفـرق الطريـق بـين أخـلاق المسـلم وأخلاق غير المسلم.

رفيق بالناس

والمسلم الحـق لطيـف متـأن رفيـق بالنـاس، حـين يحسـن اللطـف، ويستحب الرفق، وتحمد الأناة؛ ذلك أن اللطف والرفـق والأنـاة خصـال حميدة، يحبها الله في عباده المؤمنين، لأنها تكسب من تحلى بها دماثة الخلـق، ورقة الجانب، وحسن العشرة، وتجعله قريبا من نفوس الناس، محببـا إلى قلوبهم: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[١].

ولقد جاءت النصوص متضافرة متتابعة، تحبـب في الرفـق، وتحـض عليه، وتؤكد أنه خلق عال ينبغي أن يسود مجتمع المسلمين، ويتصف به كل مسلم عاش في هذا المجتمع، ووعى أحكام دينه، واستنار بهديه الـلألاء،

---

١ فصلت: ٣٤، ٣٥.

وحسب المسلم أن يعلم أن الرفق من صفات الله تعالى العليا التي أحبها لعباده في الأمور كلها:

((إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله))[١]

وإنه لخلق عظيم يثيب الله عليه من عطائه الجزل ما لا يثيبه على خلق آخر: ((إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه))[٢].

ويشيد الهدي النبوي العالي بالرفق، فيجعله زينة كل شيء، ما حل في شيء إلا زانه وحببه إلى النفوس والأبصار، وما نزع من شيء إلا شانه ونفر منه القلوب والأرواح:

((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه))[٣].

وكان الرسول الكريم صلوات الله عليه يعلم المسلمين الرفق في معاملة الناس، ويسددهم إلى التصرف اللبق الأمثل الذي يليق بالمسلم

١ متفق عليه.

٢ رواه مسلم.

٣ رواه مسلم.

الداعية إلى دين الله الرحيم الرفيق بالعباد، مهما كان الموقف مثيرا للحفائظ، داعيا للغضب والاشمئزاز.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا[١] من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين))[٢].

فبالرفق والتيسير واللين والسماحة تفتح مغالق القلوب، ويدعى الناس إلى الحق، لا بالعنف والتعسير والشدة والمؤاخذة والزجر، ومن هنا كان من هدي الرسول الكريم في هذا الباب:

((بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا))[٣]

ذلك أن الناس ينفرون بطبائعهم من الفظاظة والخشونة والعنف، ويألفون الرقة والدماثة واللين والرفق، ومن هنا كان قول الله تبارك وتعالى لنبيه الكريم:

---

١ السجل: الدلو الممتلئة ماء، وكذلك الذنوب.

٢ رواه البخاري.

٣ متفق عليه.

{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}[1]

وإنه لقول خالد، ودستور مقيم ثابت، لكل داعية تصدى لدعوة الناس إلى الهدى، إذ عليه أن يحسن التأتي إلى قلوبهم، ويسلك سبيل الرفق واللباقة واللين، ولو كان المدعو من الطغاة العتاة الظالمين، وهذا ما زود الله به نبيه موسه عليه السلام وأخاه هرون حين أرسلهما إلى فرعون:

{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[2].

فلا بدع أن يكون الرفق في هدي هذا الدين هو الخير كله، من أوتيه فقد حاز الخير كله، ومن حرمه حرم الخير كله، وذلك في الحديث الذي رواه جرير بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول:

((من يحرم الرفق يحرم الخير))[3].

---

١ آل عمران: ١٥٩.

٢ طه: ٤٣.

٣ رواه مسلم.

ولقد بين الهدي النبوي الـعإلى أن هـذا الخـير ينصـب عـلى الأفـراد والبيوت والأقوام إذا ساد حياتهم الرفق، وكان من خلائقهم الغر الحسان، نجد ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها الذي قال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - لها:

((يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلهم على الرفق))[١].

وفي رواية: ((إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق))[٢].

وعن جابر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إذا أراد الله بقوم خيرا أدخل عليهم الرفق))[٣].

وأي خير أعظم من خليقة يتخلق بها الإنسان، فتكون له وقاية من النار؟

كما أخبر بذلك الرسول الكريم في حديث آخر فقال:

((ألا اخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل))[٤].

---

١ رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

٢ رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

٣ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

٤ رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ويسمو الهدي النبوي الكريم بالإنسان، وهو يغرس فيه خلق الرفق، فيطالبه بالرفق حتى بالحيوان الذبيح، ويعد ذلك من الإحسان، أعلى المراتب التي يرقى إليها الأتقياء الصالحون:

((إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح[١] ذبيحته)).

ذلك أن الرفق بالحيوان الأعجم الذبيح دليل على رقة نفس الإنسان الذي يذبحه، وعلى تمثلها الرحمة بكل ذي روح، ومن وقرت في نفسه هذه المعاني في معاملته لذوي الأرواح من الحيوان، كان بالإنسان أرفق وألطف، وإلى هذا الهدف البعيد ترمي توجيهات الإسلام لكل مسلم بالرفق حتى بالحيوان.

طليق الوجه

ومن مستلزمات هذا الخلق السمح اللين أن يكون صاحبه مع الناس طلق المحيا، مفتر الأسارير، تعلو الابتسامة وجهه، ويطفح البشر من محياه؛ وهذا كله من حسن الخلق، ومن المعروف الذي حض عليه الإسلام.

---

١ رواه مسلم.

ففي صحيح مسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)).

وأخرج الشيخان عن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله أنه قال: ((ما حجبني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم)).

إن المجتمع الذي تشيع السماحة والود والابتسام بين أفراده لهو مجتمع إنساني راق متواد متماسك، يكرم فيه الإنسان، وتحترم الأخلاق، وتسود القيم الإنسانية العليا، وهذا هو المجتمع الإسلامي الذي تضافرت النصوص والمبادئ الإسلامية التربوية على إنشائه، ليكون غرة في جبين المجتمعات، وإننا لنلمس الفرق الكبير بين هذا المجتمع الرباني وبين المجتمعات المادية التي يعيش فيها الإنسان في جفاف عاطفي قاتل، لا يهش لجار أو قريب، ولا يكاد يفتر ثغره عن ابتسامة حب لصديق، وإنما هو دوما مهموم مشغول سادر في متطلبات الحياة المادية التي أطفأت فيه شعلة العاطفة الإنسانية، وجففت ينابيع الري الروحي، وجعلته دائرا في فلكها كالدوامة، لا يكاد يهدأ ولا يقر له قرار.

خفيف الظل

والمسلم خفيف الظل مع الناس، محبب العشرة لهم، يخالطهم ويمازحهم عندما يحسن المزاح وتلطف المداعبة، وهو في مزاحه لا يغلو ولا يشتط ولا يؤذي، كما هو في جده لا يقسو ولا يتزمت ولا يتجافى؛ فمزاحه هو المزاح الإسلامي المشروع السمح الذي لا يخرج به عن دائرة الحق، كما كان شأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام في مزاحهم ومداعبتهم، فقد أثر عن الصحابة أنهم قالوا للرسول الكريم: إنك تداعبنا، فقال:

((إني لا أقول إلا حقا))[١]

فالرسول ي كان يمزح، ولكنه كان لايقول في مزاحه إلاحقا، وكذلك كان الصحابة الكرام، ولهم في المزاح والمداعبة أخبار طريفة، كانت تجري بينهم وبين الرسول الكريم.

من هذه الأخبار ما روته كتب الحديث والسير من أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يمازح طفلا صغيرا من أبناء الصحابة يكنى أبا عمير، له طائر يلعب فيه. وفي ذات يوم رآه حزينا، فقال: ما لي أرى أبا عمير

---

١ أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

حزينا؟ قالوا: مات نغره الذي كان يلعب به يا رسول الله، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول مداعبا الطفل: ((أبا عمير، ما فعل النغير[١]؟))[٢].

وجاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يستحمله، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - ممازحا: ((إنا حاملوك على ولد ناقة)) فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد ناقة؟ فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: ((وهل تلد الإبل إلا النوق؟))[٣].

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا، وكان يهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - الهدية من البادية، فيجهزه النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه))، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحبه، وكان رجلا دميما، فأتاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني! من هذا؟ فالتفت فعرف النبي - صلى

---

١ النغير: تصغير النغر، وهو طائر يشبه العصفور.

٢ حياة الصحابة ٣/ ١٤٩.

٣ خرجه البخاري في الأدب المفرد.

الله عليه وسلم –، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبـي – صـلى الله عليه وسلم – حين عرفه وجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((من يشتري العبد؟)) فقال: يا رسول الله! إذن والله تجدني كاسدا، فقال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((لكن عند الله لسـت بكاسـد))، أو قال: ((لكن عند الله أنت غال)).

وأتت عجوز النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال مداعبا: ((يا أم فلان، إن الجنة لا تـدخلها عجوز))، فولت العجوز تبكي، فقال: ((أخبروها أنها لا تـدخلها، وهـي عجوز؛ إن الله تعالى يقول: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا}[1] .

ومن الأحاديث الدالة على نفسية الرسول المرحـة المحبـة للمداعبـة والمزاح ما أخرجه الإمام أحمد عن عائشة (رضي الله عنها) قالت:

((خرجت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: ((تقدموا))، فتقدموا، ثم قال لي: ((تعإلى حتى أسابقك))، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت

---

[1] خرجه البخاري في الأدب المفرد.

اللحم، وبدنت، ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: ((تقدموا))، فتقدموا، ثم قال لي: ((تعإلى حتى أسابقك))، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: ((هذه بتلك)).

ولذلك لم يكن الصحابة الكرام يرون حرجا في المزاح والمداعبة، فلقد رأوا الرسول الكريم، وهو إمامهم وقائدهم ومعلمهم، يمزح أحيانا، ويمرح أحيانا أخرى، فكانت لهم مواقف من المزاح والمرح طريفة، تدل على سماحة المجتمع الإسلامي الأول وبعده عن التزمت والتجهم والانقباض.

أخرج البخاري في الأدب عن بكر بن عبد الله قال: ((كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يتبادحون[1] بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال)).

إنه المزاح الإسلامي المقتصد المعتدل الذي لا يخرج أصحابه عن جادة الحق، ولا يطفىء فيهم شعلة الرجولة، وإنما يؤدي غرضه في تنشيط النفوس، وجلاء الأذهان، وترويح القلوب.

---

١ أي يترامون.

ومن طرائف ما روي من مزاح الصحابة الكرام الذي ضحك له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجرا إلى بصرى، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة رضي الله عنهما، وكلاهما بدري[١] ، وكان سويبط على الزاد، فقال له نعمان: أطعمني! قال: حتى يجيء أبو بكر، وكان نعيمان مضحاكا مزاحا، فذهب إلى ناس جلبوا ظهرا فقال: ابتاعوا مني غلاما عربيا فارها؟ قالوا: نعم، قال: إنه ذو لسان، ولعله يقول: أنا حر، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوني لا تفسدوه علي! فقالوا: بل نبتاعه، فابتاعوه منه بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها، وقال: دونكم هو هذا! فقال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حر! قالوا: قد أخبرنا خبرك، فطرحوا الحبل في رقبته، فذهبوا به فجاء أبو بكر فأخبر، فذهب هو وأصحابه إليهم، فردوا القلائص وأخذوه، ثم أخبروا النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك فضحك هو وأصحابه منها حولا.

١ أي شهد بدرا.

وجاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - لنعيمان بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، وكان يقال له: النعيمان: لو نحرتها فأكلناها، فإنا قد قرمنا إلى اللحم[١] ، ويغرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمنها، فنحرها النعيمان، ثم خرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح: واعقراه يا محمد! فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: من فعل هذا؟ قالوا: النعيمان، فأتبعه يسأل عنه، فوجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنه قد اختفى في خندق وجعل عليه الجريد والسعف، فأشار إليه رجل ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله، وأشار بإصبعه حيث هو، فأخرجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقد تغير وجهه بالسعف الذي سقط عليه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسح عن وجهه ويضحك، ثم غرمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[٢].

---

١ أي اشتهينا.

٢ انظر حياة الصحابة ٣/ ١٥٤، ١٥٥.

وبعد، فليس بعد هذه الآثار وأمثالها دليل أنصع على ما يريده الإسلام لأبنائه من خفة ظل، ومرح نفس، وعذوبة روح، وإنها لصفات تكسب صاحبها شخصية دمثة محببة، تستطيع أن تغزو القلوب، وتتغلغل في بواطن النفوس، والمسلم الداعية في أشد الحاجة إلى مثل هذه الشخصية وتلك الصفات.

خاتمة وتعقيب

لقد جلت الفصول السابقة شخصية الإنسان المسلم كما أرادها الإسلام، وصورتها نصوصه القاطعة من آيات بينات وأحاديث صحيحة، موضحة علاقة الإنسان المسلم بربه، وتحقيقه التوازن الحكيم في نفسه بين جسمه وعقله وروحه، مبينة صلاته الاجتماعية بغيره، كالوالدين، والزوجة، والأولاد، والأقرباء من ذوي الأرحام، والجيران، والإخوان والأصدقاء، وأبناء مجتمعه قاطبة بكل فئاتهم وأنماطهم وطبقاتهم.

وبدا واضحا مما تقدم في تلك الفصول: أن الإنسان المسلم الذي أراده الإسلام إنسان فذ فريد في أخلاقه وصلاته الفردية وعلاقاته الاجتماعية جميعا.

وبدا واضحا أيضا أن الإنسان في تاريخه الطويل لم يحظ بمكونات الشخصية الفاضلة المتكاملة كما حظي الإنسان المسلم حين تلقى إشراقة الوحي والهداية الربانية من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ذلك أن الإسلام لم يحفل بحشو عقل الإنسان بالمعارف الفلسفية كما صنع إلىونان، ولا بالروحانيات المهومة المغرقة كما فعل الهنود، ولا بتربية الجسم الرياضية كما فعل الرومان، ولا بالفلسفة المادية النفعية كما يعنى

العالم المادي إلى وم شرقيه وغربيه سواء، وإنما اختط الإسلام منهجا متوازنا متكاملا في تربية الإنسان، آخذا بعين الاعتبار جسمه وعقله وروحه، انطلاقا من نظرته القويمة للإنسان على أنه مخلوق مكون من جسم وعقل وروح.

وتستهدف مناهله الفكرية والروحية أيضا، وكان المغيرون يحاربون الإسلام والمسلمين على جبهتين؛ مهمة الأولى زحزحة المسلم عن شخصيته الأصيلة، ومهمة الثانية تلويث مناهله الفكرية والروحية، أو تحويله عنها إلى مناهل أخرى غريبة عنه.

ولقد استطاعوا في كثير من بلاد المسلمين أن يهزوا شخصيه المسلم، ويزحزحوها عن أصالتها، ويزجوا بها في حمأة التبعية الفكرية والشعورية والسلوكية، ويعروها من قيم دينها وأخلاقياته ويفرغوها من المحتوى الرباني الذي به أخرجت للناس، وبه دخلت التاريخ، وبه كانت شيئا مذكورا في حياة الإنسانية.

ولن يرد إلى شخصية المسلم عافيتها وأصالتها إلا عودة صادقة إلى منهج الله الخالد، وفهم عميق لحقيقة الرسالة المنوطة بالإنسان المسلم في هذه الحياة، يضع المسلمين أمام واجباتهم الكبرى في حمل هذه الرسالة للناس، بعد أن يتمثلوها عقيدة وعبادة وسلوكا ومنهاج حياة.

ويوم تفيء أمتنا التائهة في دروب الجاهلية، الغارقة في ظلام التبعية، الضالة في متاهات العصبية، يوم تفيء أمتنا إلى ظلال منهج الله الوريف الظليل، تعود كما كانت أمة موحدة متراصة متحابة قوية عزيزة حرة، وعندئذ لن يفل لها سلاح، ولن تنكس لها راية، ولن يهزم لها جيش؛ إنها يومئذ أمة الإيمان، ولقد تأذن رب العزة في محكم كتابه أن ينصر دوما أمة الإيمان: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}[١].

تم بفضل الله.

---

١ الروم: ٤٧.

وبحمد الباري سبحانه وتعإلى وفضل منه ورحمة نضع قطراتنا الأخيرة بعد رحله الغوص في مواضيع هذا الكتاب وأتمني أن أكون موفقا في سردي لعناصره سردا لا ملل فيه ولا تقصير فلا ندعي الكمال فيه ولكن عُذِرنا انا بذلنا فيه قصار جهدنا فإن أصبنا فذاك المراد وإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم ولا نزيد علي ما قال العماد الأصفهاني:

*إني رأيت أنه لا يكتب إنسان في يومه إلا قال في غده:

> لو غير هذا لكان أحسن.

> لو زيد هذا لكان يستحسن.

> لو قدم هذا لكان أفضل.

> لو ترك هذا مكانه لكان أجمل.

*وهذا من أعظم العبر، وهو دليل لاستيلاء النقص على جميع ما كتب البشر.

وصلى اللهم وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

<u>وعلي الله قصد السبيل</u>

تم الانتهاء منه في يوم الأحد الموافق ٢٩/ ٩/ ٢٠١٩م

الموافق ٣٠ من شهر المحرم

للعام الهجري واحد واربعون وأربعمائة والف من هجرة المصطفي ١٤٤١ه.

قبريط.فوه.كفرالشيخ

المصادر والمراجع

١-القران الكريم.

٢-صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، ت / محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الدعوة ودار سحنون ، تونس .

٣-صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط بيت الأفكار الدولية .

٤-القاموس المحيط ، للفيروز أبادي ج٢ ط ١ ، بيروت .

٥-مجلة السكري ، سنة ١٤٢٢ هجرية عدد / ٥/

٦-موطأ مالك بن انس ، تونس ، ت/ خليل مأمور شيحا ، ط دار المعارف، بيروت.

٧-مدارج السالكين : ابن القيم

دار الحديث _مصر ، ١٩٨٣م.

٨-المستصفى : الغزإلى

مكتبة الجندي _مصر .

٩-مالك بن نبي، من أجل التغيير، ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، دار الفكر المعاصر ببيروت، ١٩٩٥.

١٠- تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنَّان، تإليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبدالرحمن بن معلى اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، ط٢ (٢٠٠٢).

١١-الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تإليف القرطبي، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ج١٢، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦.

فهرس الموضوعات

إهـداء ________________________ ٥
كلمة شكر وتقدير ________________________ ٧
تقديم ________________________ ٩
تقديم (٢) للكتاب ________________________ ١٠
تقديم (٣) للكتاب ________________________ ١٢
تقديم (٤) للكتاب ________________________ ١٥
شهادة بحق الكتاب ________________________ ١٧
مقدمة المؤلف ________________________ ١٨
أولا: المسلم مع ربه ________________________ ٢٢
ثانيا: المسلم مع نفسه ________________________ ٤٠
ثالثا: المسلم مع والديه ________________________ ٥٨
رابعا: المسلم مع زوجته. ________________________ ٧٠
خامسا: المسلم مع أولاده. ________________________ ٧٨
سادسا: المسلم مع أقربائه وذوي رحمه. ________________________ ٨٢
سابعا: المسلم مع جيرانه ________________________ ٨٩
ثامنا: المسلم مع إخوانه وأصدقائه ________________________ ٩٧
أخيرا: المسلم مع مجتمعه ________________________ ١٠٥
خاتمة وتعقيب ________________________ ١٢٦
المصادر والمراجع ________________________ ١٣٠